الدورية التاريخية / العدد الثاني السنة الأول

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵓⵏⵉ ⵏ ⵜⵓⵔⴰⵖⵉⵏ

المركز الليبي للدراسات الأمازيغية

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏⵓⵔ

ⵜⵓⵖⵓⵔⵉⵜ ⵏ ⵜⵙⴰⵡⵓⵔⵉ ⴰ ⵜⵉⵖⵓⵔⴰⴼⵜ

أمزروي نغ

مجلة التاريخ والجغرافيا

(2)

هذه الدورية طبعت في سنة
2026 / 2976
الدورية التاريخية / العدد الثاني السنة الأول

المركز الليبي للدراسات الأمازيغية
الرقم الوطني للكتاب

000-0000-0000-00

مقدمة

استجابةً للحاجة المتزايدة إلى فضاءات أكاديمية محكّمة تُعنى بإعادة قراءة تاريخ ليبيا وشمال إفريقيا قراءة علمية دقيقة، تنطلق من المعطيات المحلية وتستفيد من المناهج الحديثة في البحث التاريخي والجغرافي، تصدر هذه الدورية عن المركز الليبي للدراسات التاريخية باعتبارها منبرًا علميًا متخصصًا يهتم بالدراسات التاريخية بمختلف اتجاهاتها، وبالجغرافيا التاريخية، والطوبونوميا، والبيوغرافيا، وما يتقاطع معها من مجالات كعلم اللسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلم الآثار، وتاريخ الأفكار.

وتسعى الدورية إلى الإسهام في تطوير المعرفة العلمية المتعلقة بالتاريخ المحلي والإقليمي، وإحياء الاهتمام بالمصادر الأصلية، من وثائق ومخطوطات وروايات شفوية ونقوش وأسماء جغرافية وسير فردية وجماعية، بوصفها أدوات أساسية لفهم التحولات التاريخية والبُنى الاجتماعية والثقافية في ليبيا ضمن فضائها المغاربي والمتوسطي والإفريقي.

وترى هيئة تحرير الدورية أن كتابة التاريخ لا يمكن فصلها عن سياقاتها المكانية واللغوية والإنسانية، وأن دراسة الأسماء الجغرافية (الطوبونوميا) والسير الذاتية (البيوغرافيا) تمثل مدخلًا علميًا مهمًا لإعادة بناء الذاكرة التاريخية، وفهم ديناميات الاستمرارية والانقطاع، والهجرة، والتفاعل الحضاري، وتحولات الهوية عبر الأزمنة.

وانطلاقًا من هذا التصور، تم إعداد لوائح النشر لتكون إطارًا تنظيميًا واضحًا يضمن جودة الأبحاث المنشورة، ويحدد العلاقة العلمية والأخلاقية بين الدورية والباحثين، وفق المعايير الأكاديمية المعترف بها دوليًا، سواء من حيث أصالة البحث، أو دقة المنهج، أو سلامة التوثيق والإحالات، أو الالتزام بأخلاقيات البحث العلمي والنشر.

وتنظم هذه اللوائح المحاور الآتية:

أولًا: شروط تقديم الأبحاث

تحدد المعايير العلمية الأساسية لقبول المقالات، من حيث جدة الموضوع وأهميته، ووضوح الإشكالية، واعتماد منهجية علمية رصينة، وضبط الهوامش والمراجع، والالتزام بالشكل المعتمد للنشر في الدورية.

ثانيًا: إجراءات التحكيم العلمي

تعتمد الدورية نظام التحكيم العلمي المزدوج السري (Double-Blind Review)، بما يكفل النزاهة والحياد، مع توضيح آليات التواصل مع الباحث، وحقه في مناقشة ملاحظات المحكّمين، والإجراءات المتعلقة بالقبول أو الرفض أو طلب التعديلات.

ثالثًا: أخلاقيات النشر العلمي

تؤكد الدورية التزامها الصارم بقواعد أخلاقيات البحث العلمي، وترفض جميع أشكال السرقات الأدبية، أو النشر المكرر دون مبرر، أو التلاعب بالمصادر، مع بيان الإجراءات المتبعة عند الإخلال بهذه الضوابط.

رابعًا: حقوق الملكية الفكرية والنشر

توضح اللوائح حقوق المؤلفين والدورية فيما يتعلق بنشر المواد العلمية ورقيًا وإلكترونيًا، وإعادة استخدامها ضمن الأطر القانونية، إضافة إلى تحديد ما يحصل عليه الباحث من نسخ أو حقوق مرتبطة بالنشر.

خامسًا: الدعم العلمي والتعاون المؤسسي

تعمل الدورية، بالتنسيق مع المركز الليبي للدراسات التاريخية والمؤسسات البحثية الشريكة، على توفير أشكال من الدعم العلمي والفني، تشمل المراجعة الأكاديمية، والتحرير اللغوي، والإخراج الفني، خاصة للأبحاث ذات القيمة العلمية أو التراثية المتميزة.

الدعوة إلى المساهمة

تفتح الدورية المجال أمام الباحثين والأكاديميين وطلبة الدراسات العليا، داخل ليبيا وخارجها، للمشاركة بأبحاث أصيلة تسهم في إثراء مجالات التاريخ والجغرافيا التاريخية والطوبونوميا والبيوغرافيا، وتدعم بناء معرفة تاريخية نقدية ومتجددة، تنطلق من الواقع المحلي وتتفاعل مع الإنتاج العلمي العالمي.

عصر المقاومة الأمازيغية في قورينا

قراءة نقدية في النقوش الإغريقية-الرومانية

من منظور أمازيغي

مادغيس وُمادي[1]

تمهيد تحريري

يندرج هذا المقال ضمن المشروع الفكري والعلمي الذي تتبناه مجلة أمزروي نّغ، بوصفها مجلة تاريخية أمازيغية أكاديمية تسعى إلى إعادة كتابة تاريخ شمال إفريقيا، وليبيا على وجه الخصوص، انطلاقًا من منظور أمازيغي نقدي يُعيد مساءلة السرديات الكلاسيكية والاستعمارية التي هيمنت طويلًا على كتابة التاريخ القديم. ولا تنطلق المجلة من موقف عدائي تجاه المصادر الكلاسيكية في ذاتها، بل من وعي إبستمولوجي بحدودها وسياقات إنتاجها، ومن ضرورة تفكيك الخلفيات الإيديولوجية والسياسية التي صاغت خطابها.

وانطلاقًا من هذا التصور، يعتمد المقال مقاربة يمكن توصيفها بـ«القراءة الأمازيغية للمصادر الكلاسيكية»، حيث تُعامَل النقوش الإغريقية واللاتينية لا بوصفها وثائق محايدة، بل باعتبارها خطابًا سياسيًا-ثقافيًا كُتب باسم سلطة احتلال، وحمل تمثلاتها عن الأرض والسكان والشرعية. فإعادة كتابة التاريخ، وفق هذا المنهج، لا تتحقق عبر نفي الوثيقة أو رفضها، بل عبر إعادة تأويلها من موقع معرفي مختلف، يُنصت إلى ما تصرح به صراحة، وإلى ما تحاول إخفاءه أو تحييده ضمنيًا.

ويهدف هذا البحث، من خلال دراسة حالة إقليم قورينا، إلى الإسهام في بناء سردية تاريخية بديلة تُعيد الاعتبار للأمازيغ بوصفهم فاعلين تاريخيين مركزيين، لا مجرد موضوع للسيطرة أو التوصيف الخارجي. فاختيار مصطلح «عصر المقاومة الأمازيغية» بدل «العصر الروماني» لا يُعد خيارًا لغويًا فحسب، بل موقفًا معرفيًا يعكس رؤية المجلة للتاريخ بوصفه مجالًا للصراع على المعنى، وعلى من يمتلك حق تسمية الأزمنة والأحداث وصياغة دلالاتها.

1 - كاتب مترجم وصاحب عدة مؤلفات وتراجم ي اللغة والتاريخ

ملخص

يعيد هذا المقال قراءة النقوش الإغريقية واللاتينية المكتشفة في إقليم قورينا قراءةً نقدية من منظور أمازيغي، انطلاقًا من فرضية أن ما يُعرف تقليديًا بـ«العصر الروماني» هو في جوهره عصر مقاومة أمازيغية ممتدة ضد الاحتلال الإغريقي-الروماني. ويجادل البحث بأن هذه النقوش، على الرغم من قيمتها المصدرية، تمثل خطابًا استعماريًا أحادي الصوت، كُتب باسم السلطة المحتلة، ويُخفي خلف لغة التمجيد والانتصار واقع صراع طويل وغير محسوم مع القبائل الأمازيغية. ومن خلال تحليل نماذج محددة من النصوص الإغريقية واللاتينية، يسعى المقال إلى تفكيك هذا الخطاب واستخلاص الدلالات التي تسمح بإعادة بناء وجهة النظر الأمازيغية الكامنة خلف النص الاستعماري.

الكلمات المفتاحية: قورينا، الأمازيغ، المقاومة، النقوش الإغريقية واللاتينية، الخطاب الاستعماري.

---

1. مدخل منهجي: من "العصر الروماني" إلى "عصر المقاومة الأمازيغية"

تُقدَّم المرحلة الممتدة من أواخر القرن الأول قبل الميلاد إلى القرون الأولى للميلاد في قورينا ضمن إطار «العصر الروماني»، بما يوحي بمرحلة استقرار سياسي وإداري. غير أن استقراء النقوش نفسها يكشف صورة مغايرة، إذ يطغى على هذه النصوص حضور دائم للحرب، والتحصين، والحملات العسكرية، وإعادة الإعمار بعد الدمار. ومن ثمّ، يقترح هذا المقال توصيف هذه المرحلة بـ«عصر المقاومة الأمازيغية»، بوصفه توصيفًا يعكس واقع الصراع لا خطاب السلطة.

يسمح هذا التحول المفاهيمي بقراءة النقوش لا بوصفها سجلات سلام، بل باعتبارها ردود فعل استعمارية على مقاومة محلية مستمرة، فرضت نفسها حتى في النصوص التي كُتبت أصلًا لتمجيد المنتصر.

2. النقوش بوصفها خطابًا استعماريًا: إشكالية المصدر والتمثيل

كُتبت النقوش الإغريقية واللاتينية في قورينا ضمن سياق إداري وعسكري واضح، وهدفت إلى تخليد أسماء الأباطرة والولاة والقادة، وربط وجودهم بفكرة النظام والاستقرار. غير أن هذا الخطاب يُقصي الفاعل الأمازيغي، ولا يذكره إلا في صيغة العدو أو المتمرّد.

ويظهر ذلك بوضوح في نقش تشريفي من قوريني يعود إلى عهد الإمبراطور كلوديوس الثاني جوتيكوس، حيث ورد النص:

Αὐτοκράτωρ Καῖσαρ Μάρκος Αὐρήλιος Κλαύδιος Σεβαστός, < ὅπλοις ἀναστείλας τὴν πολυχρόνιον Μαρμαριτῶν θρασύτητα...[2]

ويُترجم عادة إلى: «الإمبراطور قيصر ماركوس أوريليوس كلوديوس أغسطس، الذي أخضع بسلاحه الجرأة الطويلة الأمد للمارمارياي...». غير أن التحليل الدلالي يكشف أن توصيف المقاومة بـ πολυχρόνιον (طويلة الأمد) يشكّل اعترافًا صريحًا باستمرارية الصراع عبر أجيال، في حين تعكس كلمة θρασύτης حكمًا قيميًا استعماريًا يُدين الفعل المقاوم بدل تفسير دوافعه المرتبطة بالدفاع عن الأرض والموارد.

3. نقش البوّاب[3] ولغة الحرب: مصطلح κυδοιμός شاهدًا على شراسة المقاومة

يمثل ما يُعرف بـ«نقش البوّاب» (نقش حارس الباب) أحد أكثر النصوص الإغريقية دلالة على طبيعة الصراع في قورينا. ويَرِد فيه التعبير:

Ἡνίκα μαρμαρικοῦ λῆξεν πολέμοιο κυδοιμός <

غالبًا ما تُترجم κυδοιμός إلى «ضوضاء» أو «صخب» الحرب، غير أن هذا التبسيط يُفرغ المصطلح من عمقه الدلالي. ففي الاستعمال الهوميري والتراجيدي، تشير الكلمة إلى جلجلة الحرب واضطرابها الشامل، واختلاط الأصوات والحركات والدماء في ساحة القتال. ومن منظور أمازيغي، فإن اختيار هذا المصطلح بالذات في نقش احتفالي يُفترض

---

2 - Supplementum Epignaphicum Graecum (SEG), Paris, 1938, IX, p. 20, n° 63; Oloverio, DAI, II Cirenaica 1 (1933) p. iol n° 67.

3 - Becatti, Critica d›Arte, 1940, p. 49.
L λγ᾽ Ἐπὶ ἱερέως Παυσανία Φιλίσκω φύσει δὲ Εὐφάνευς|. Παυσαμένων πάντων τῆς ἀνείας, Λούκιος Ὄρβιος Λουκίου| πυλοκλειστὴς τὸν λυσιπόλεμον|. Ἡνίκα μαρμαρικοῦ λῆξεν πολέμοιο κυδοιμός, γήθησεν Βάττου πολλὰ πόλις μερόπων· τῆμος ἀνα|γλύψας κατακείμενον ἡδυ||πο||ποτοῦντα Λεύκιος εἰνοδίωι θῆκε παρὰ προθύρωι, | κλεῖ[δ]α πύλης διέπων· Ὧραι φίλαι, οὗ χάλις ἔσχεν Παυσανίαν ἱερῆ . καιρόθι παυσάμενον
ترجمة آلية : «حينما خمد ضجيج الحرب المارماريكية، ابتهجت مدينة «باتوس» (قورينا) المأهولة بالسكان؛ عندئذٍ، قام لوكيوس، وهو ينحت صورة (لإله أو شخصية) متكئة تستمتع بشراب هنيء، بوضعها عند المدخل بجانب الطريق، وهو الذي يتولى مفاتيح البوابة. أيتها «الساعات» (إلهات الفصول) العزيزة، يا من لم تمنع الخمرة باوسانياس الكاهن من أداء واجبه في الوقت المناسب.»

أنه يعلن «نهاية الحرب» يعكس، من حيث لا يقصد، شراسة المقاومة الأمازيغية وحدّتها.

كما أن إسناد فعل التوقف إلى «جلجلة الحرب» نفسها، لا إلى الفاعل المقاوم، يُظهر محاولة لغوية لتجريد الأمازيغ من الفاعلية التاريخية، وتحويل الحرب إلى ظاهرة انتهت تلقائيًا. غير أن حضور هذا المصطلح العنيف في نص يدّعي السلام يكشف عن عمق الأثر الذي خلّفته المقاومة في الوعي الإمبراطوري.

4. خطاب "نهاية الحرب" واستمرارية الصراع

يتكرر خطاب النصر في نقش آخر من قوريني مؤرخ بالسنة الثالثة والثلاثين من العهد القوريناييقي:

Ἡνίκα μαρμαρικοῦ λῆξεν πολέμοιο κυδοιμός, γήθησεν Βάττου < πολλὰ πόλις μερόπων.

غير أن هذا الإعلان الاحتفالي لا يصمد أمام الوقائع اللاحقة، إذ تؤكد نقوش القرن الثالث الميلادي عودة قبائل المارمارياداي إلى شن غارات جديدة[4]. ومن ثمّ، فإن «نهاية الحرب» في النص ليست سوى لحظة دعائية ضمن صراع أطول، يمكن قراءتها بوصفها اعترافًا غير مباشر باستنزاف المدينة والسلطة معًا.

5. النقوش العسكرية: جغرافيا الخوف وعسكرة المجال

تكشف نقوش القلاع والحصون عن انتشار كثيف للحاميات الرومانية في قورينا. ففي نقش من كورنيكلاروم يعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي، ورد:

Ἔτους πβ′, Μεχεὶρ ζ′. Ἥκω Μαγίων Ἀρτεμιδώρου κεντυρίων < Ἀπαμεὺς τῶν ἀπὸ Συρίας.

إن وجود قادة وجنود من أقاليم بعيدة (سوريا، إسبانيا، مصر) يدل على اعتماد الاحتلال على قوة عسكرية وافدة، ويعكس قلقًا دائمًا من محيط قبلي مقاوم فرض عسكرة المجال، أثار الذعر مما اضطر السلطات الى استجلاب قوى من خارج المنطقة[5].

4 - أن خطر هذه القبيلة استمر قائماً . وما لبثت أن عادت تشن غاراتها على مدن قورينا في عهد الامبراطور كلوديوس الثاني جوتيكوس (268- 270م)

5 - بلغت قوة المقاومة الأمازيغية حداً جعل الإمبراطورية الرومانية تعترف بعجز حامياتها المحلية، مما دفعها لجلب كتائب وقادة من خارج الإقليم (سوريا، إسبانيا، ومصر) لمحاولة تأمين السواحل.

نقش الإمبراطور كلوديوس الثاني (268-270 م): يعترف هذا النقش صراحة بـ «غطرسة المارماريت» (وهو الوصف الروماني للمقاومة) التي استمرت طويلاً (πολυχρόνιον).

6. النقوش الجنائزية وأوامر التسريح: استنزاف الإمبراطورية

تُظهر النقوش الجنائزية وأوامر التسريح أن قورينا ظلت مسرحًا لعمليات عسكرية متواصلة. ففي شاهد قبر فارس روماني من قوريني ورد:

T. Pompeius Licyrgus Autrico, annorum XL, eques ex cohorte Hispanorum, < aerum XX.

ويشير طول مدة الخدمة وتعدد الكتائب الأجنبية إلى حالة استنزاف فرضتها المقاومة المحلية على الجيش الإمبراطوري.

7. صمت الرواية الأمازيغية وإشكالية الغياب

إن غياب نقوش أمازيغية حجرية لا يعني غياب الفعل التاريخي، بل يعكس اختلال ميزان التدوين وهيمنة أدوات الكتابة لدى السلطة الاستعمارية، مقابل اعتماد المجتمعات الأمازيغية على الذاكرة الشفوية. وهكذا تتحول النقوش الاستعمارية نفسها إلى شاهد غير مقصود على وجود مقاومة حاولت طمس صوتها.

خاتمة

تُظهر القراءة النقدية للنقوش الإغريقية واللاتينية أن ما يُعرف بـ«العصر الروماني» في قورينا هو، في جوهره، عصر مقاومة أمازيغية طويلة الأمد. فالنصوص التي كُتبت لتمجيد الانتصار الإمبراطوري تحمل في طياتها اعترافًا ضمنيًا بقوة الرفض المحلي واستمراريته. ومن ثمّ، فإن إعادة كتابة تاريخ قورينا تقتضي قراءة هذه النقوش ضد خطابها الظاهر، واستخلاص الصوت الأمازيغي من بين سطور النص الاستعماري.

النص اليوناني:

ὅπλοις\ ἀναστείλας\ τὴν\ πολυχρόνιον\ Μαρμαριτῶν\ θρασύτητα

الدلالة: اضطرت روما لتعيين «بروبوس» والي مصر والخبير في حرب الصحراء لقيادة الحملة، مما يدل على أن المقاومة الوطنية كانت تشكل تهديداً وجودياً للاحتلال.

نقوش الكتائب الخارجية: عُثر على شواهد تؤكد استدعاء قوات خاصة، مثل:

قائد المئة السوري: «ماجيون بن أرتميدوروس» من أفاميا بسوريا.

(Ἔτους)\ πβ′,\ Μεχειρ\ ζ′.\Ἥκω\ Μαγίων\ Ἀρτεμιδώρου\ κεντυρίων\ Ἀπαμεὺς\) τῶν\ ἀπὸ\ Συρίας.

الخيال الإسباني: «تيتوس بومبيوس ليكيرغوس» الذي خدم 20 عاماً في الكتيبة الإسبانية (Cohorts\ Hispanorum).

T.\ Pompeius\ Licyrgus\ Autrico\ Annorum\ XL,\ Eques\ (EX)\ Cohorts\ Hisdanor\ (UM)\ Aer\ (UM)\ XX

الهوامش

.Inscriptiones Graecae (IG), Cyrenaica, no. 1023 .2

.Supplementum Epigraphicum Graecum (SEG), vol. 17, no. 823 .3

.Corpus Inscriptionum Latinarum (CIL), VIII, 10027 .4

.(Richard Goodchild, Cyrene and Apollonia (London: Thames and Hudson, 1971 .5

Peter A. Clayton Applebaum, The Roman Province of Cyrenaica (Oxford: Clarendon .6
.(Press, 1979

Silvio Ferri, "Le iscrizioni di Cirene," Rivista di Filologia e di Istruzione Classica 62 .7
.(1934): 1-45

Joyce Reynolds, "Inscriptions of Roman Cyrenaica," Journal of Roman Studies 52 .8
.(1962): 102-120

قصر الحاج

مخزن حبوب محصّن في الجفارة الليبية[6]

بقلم: أ. أيوب و ج. ل. لومويلك

تحرير ومراجعة: توفيق عيّاد الشقروني[7]

مدخل

باستثناء الدراسة الشهيرة التي أجراها «ج. ديبوا»[8]، فإنه على حد علمنا، لم تُكرّس سوى أعمال قليلة جداً للجوانب الاجتماعية والتاريخية والمعمارية المتنوعة المتعلقة بـ جبل نفوسة[9]. ويبدو أن الجبل في الواقع لا يثير الاهتمام إلا لكونه ظل معقلاً للأمازيغ الإباضية[10]، ولما يوجد فيه من آثار غنية تميز خط الدفاع الروماني «ليميس تريبوليتانوس» (Limes tripolitanus).

لقد مرّ معظم الجغرافيين والمؤرخين العرب (الرحالة)[11] بهذا الإقليم مرور الكرام؛ فربما لم يروا في الإباضية ومعقلها الطرابلسي إلا «بدعة» آثروا السكوت عنها. لذا، فإن

6- المقال ضمن مجموعة دراسات عن دار العلوم الإنسانية، مجموعة علم البيئة والعلوم الإنسانية، باريس: بعنوان: تقنيات حفظ الحبوب على المدى الطويل ودورها في ديناميات النظم الزراعية والمجتمعات. حرره مارسو جاست وفرانسوا سيجوت، بالتعاون مع السيدة أريان برونيتون-جوفيرناتوري. ونشره المركز الوطني للبحث العلمي، 1981. ص3-18 المقال مترجم ترجمة الية

7 - توفيق عياد الشقروني: باحث ومؤرخ، حاصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ. صدرت له عدة مؤلفات في التاريخ والتوثيق، وله مساهمات أدبية منشورة في مجالي الشعر والنقد الشعري، بالإضافة إلى سلسلة من المقالات البحثية والدراسات المنشورة في عدد من الصحف والمجلات الثقافية.

8 - DESPOIS (J.), Le Djebel Nefousa, Etude géographique, Paris, 1935.

9 - Cf. en plus de la bibliographie établie par J. Despois, op. cit., CALASSANTI-MOTYLINSKI (A. de), Le Djebel Nefousa, Paris, 1898 ; GOODCHILD (R.), Libyan Studies, London, 1976 ; ALLAN (J.W.), « Some mosques

MESSANA (Gaspare), Originalité de ; 73-of the Jebel Nefusa, in Libya Antiqua, vol. IX-X, 1972 l'architecture musulmane libyenne, éd. M.A.L., Libye-Tunisie, 1977 ; KHUJA (Mahmud), « Garian Islamic art and architecture in Libya, Catalogue for the ; 1966/Town », in Field Studies in Libya, 4 exhibition published by the Libyan general committee for participation in the world of Islam festival, London, april 1976.

10 - بخصوص "الإباضية"، انظر الدرجيني، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب

11 - لا تزال توجد عدة مساكن كهفية (تروغلوديت) في منطقة الجبل.

إشاراتهم حول هذا الموضوع نادرة؛ حيث يُشار إلى وجود سكان بربر، كما يُذكر وجود بعض القصور (جمع قصر)، وهي مخازن حبوب جماعية محصنة.

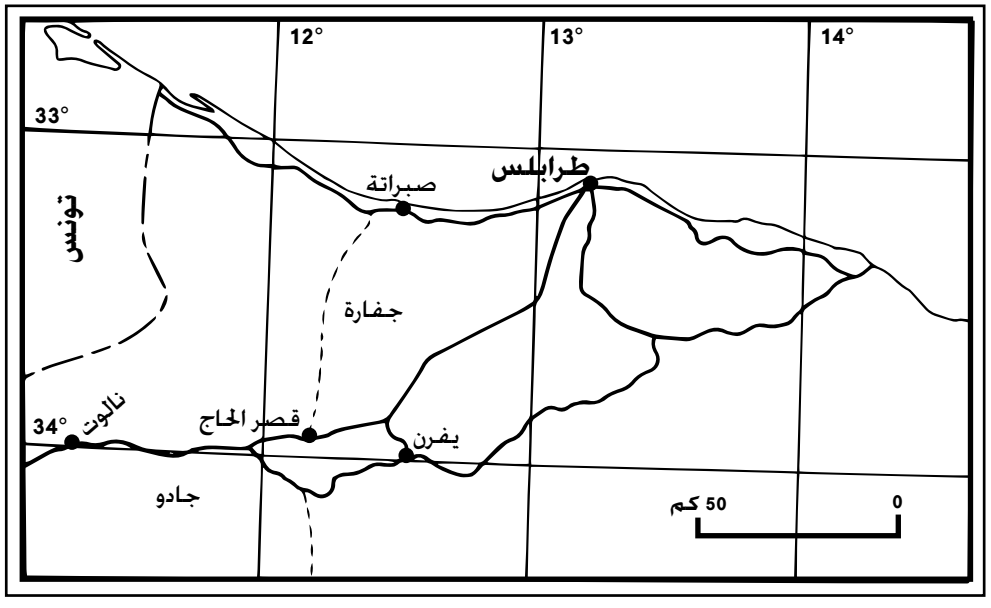

ومع ذلك، ففي أغلب الأحيان لا يُذكر شيء عن طبيعة المساكن في الجبل، ولا سيما هذه القصور التي كانت تشكل المركز التجاري والدفاعي للسكان المحليين. وبالمثل، يتم تجاهل نمط حياة هؤلاء السكان وتفاصيل تركيبتهم العرقية[12]. وقد أسف «ج. ديبوا» سابقاً لهذا النقص في المعلومات المكتوبة؛ وهو ما دفعه للجوء المتكرر إلى الرواية الشفوية المحلية[13]. وقد كانت هذه الرواية عوناً كبيراً له، خاصة في فهم التحول من حالة العداء بين البربر والعرب إلى مرحلة التعايش - وهي ظاهرة يمكن تحديد تاريخها ما بين الفترة الثانية للوجود التركي وبداية الاستعمار الإيطالي (من منتصف القرن التاسع عشر إلى عام 1911).

في تحليله، يبدو أن «ديبوا» كان يتصور العنصر الأمازيغي (البربري) ككيان كلي موحد؛ ورغم تأثر هذا الكيان بالمؤثرات الخارجية، إلا أنه شهد تطوراً داخلياً كان هو الآخر محدوداً إلى حد ما. وانطلاقاً من هذا التصور، فسر المؤلف الانتقال الذي أجراه العنصر الأمازيغي النفوسي بين المسكن الكهفي (المحفور تحت الأرض) وبين المسكن الطابقي المتراص المبني في المرتفعات.

12 - أغوستيني (إي. دي)، يقدم الحاج عبد الله بو قتلاء بصفته والد الولي.

13 - أقوال جُمعت في 15 نوفمبر 1978.

ويرى أن هذا النمط الأخير (المبني في المرتفعات) كان نتيجة لحالة الحذر والارتياب التي عاشها الإنسان الأمازيغي؛ أما النمط الأول - الذي اعتبره شكلاً متدهوراً من السكن - فيعد دليلاً على لحظات «الطمأنينة»، كونه يقع بجوار الأراضي الزراعية دون أي اعتبارات دفاعية. ومع ذلك، فقد ركّز «ديبوا" اهتمامه على الجبل، ولم يولِ أهمية كبرى لنمط السكن في السهول؛ حيث اكتفى بالإشارة، ضمن تعداد عابر، إلى تجمع قصر الحاج الواقع في منخفض سهل الجفارة، وسط أراضي الزراعة وتربية الماشية.

باعتبار هذا التجمع السكاني (قصر الحاج) عربياً، فإنه يثير اهتمامنا نظراً لنمط بنائه المشابه للمستوطنات الأمازيغية في الجبل، فضلاً عن تنظيم الحياة الاجتماعية فيه الذي يبدو متطابقاً مع تنظيم تلك المجموعات السكانية. وإذا كان علينا التسليم بتجانس الحياة الاجتماعية بين الجبل والجفارة، ألا ينبغي حينئذٍ إعادة النظر في أطروحة «الازدواجية الرأسية للقرية»[14] التي اقترحها «ديبوا"؟

يقع قصر الحاج على تلة صغيرة تفتقر إلى أي دفاعات طبيعية بارزة، ويتألف من مساكن كهفية سطحية (دياميس) ومن بيوت متراصة[15]. وكان على السكان المحليين بالتالي تعويض هذا النقص في الدفاعات الطبيعية؛ فقاموا ببناء عدد من أبراج المراقبة على بُعد مسيرة ساعة من القصر الفعلي. ولا يزال اثنان منها قائمين حتى الآن، حيث يشكلان، بالإضافة إلى المخزن المحصن، نظام مراقبة يتيح رصد أي تحرك للمهاجمين من مسافة لا تقل عن كيلومترين.

إن نظاماً دفاعياً كهذا يوحي بالأحرى بوجود سكان متمسكين تماماً بنمط حياة الاستقرار. وتدعم الرواية الشفوية وجهة النظر هذه؛ إذ يُقال إن قبائل[16] تنحدر من «الساقية الحمراء»[17] قد استقرت هناك في القرن الثامن للهجرة (القرن الرابع عشر

14 - المصدر نفسه، الفصل الثالث.

15 - لا تزال توجد عدة مساكن كهفية (وهي حتى في حالة ممتازة) في منطقة الجبل. إن استخدام هذين النوعين من المساكن لم يتوقف إلا منذ حوالي خمس سنوات. ونلاحظ أن الخيار المجتمعي الذي تسعى السلطات الليبية لتحقيقه اليوم يعمل باتجاه إزاحة أفقية للتجمعات السكانية في الجبل والجفارة.

16 - يتفق مخبرونا على ذكر القبائل الست التالية: الكرشان، بحري، اللواهشة، البزازة، ساق محمد، القمامدة. أما أغوستيني (إي. دي) فلا يذكر لأولاد الحاج، الذين يبلغ عددهم ستمائة وخمسين فرداً، سوى أربعة فروع: البزازنة، العليا، شيبون، والعبادلة. انظر: سكان طرابلس الغرب، ترجمة خليفة محمد التليسي، بيروت، 1975.

17 - ديبوا (ج.)، (المرجع السابق، ص 147) يبدو أنه يقر بهذا الأصل: «في الرجبان، غرب يفرن [= السهل الذي يقع فيه قصر الحاج]، يذكر جزء من أولاد بو حسين أن موطنهم الأصلي هو الساقية الحمراء، وهي بلاد في الجنوب المغربي خصبة بالأولياء البربر...».

الميلادي) وظلت مقيمة فيها. كما تؤكد الرواية الشفوية على حقيقة أن «القصر» لم يتعرض للهدم أبداً منذ ذلك الاستقرار.

وهكذا، فإن كل شيء يدعو للاعتقاد - القصر نفسه (وما يوفره من استقلال اقتصادي)، ومجمل النظام الدفاعي والسكني، وأخيراً الرواية الشفوية إلى حد ما - بأن سكان «قصر الحاج» كانوا مستقرين بشكل خاص مقارنة بالمجموعات الأخرى في جبل نفوسة. بيد أن البعض يرى، ولا سيما «ديبوا"، أن سمة الاستقرار هي خاصية أصيلة لدى البربر وليست لدى العرب. وفي الواقع، فإن وجود البدو العرب في الجبل ثابت منذ وصول "بني هلال" و"بني سليم"؛ حيث يمارسون الانتجاع بين "الظاهر" و«الجفارة". والسؤال الذي يطرح نفسه حينئذٍ هو: هل سكان «قصر الحاج» عرب، أم بربر، أم بربر مستعربون؟ إن قدومهم من «الساقية الحمراء» - إذا ما صدقنا الرواية الشفوية - لا يكفي وحده لنسبهم إلى أصل بربري.

لننظر أولاً إلى المسألة من زاوية الانقسام الذي يبدو أنه لا يزال قائماً بشكل جيد في هذا الجزء من منطقة طرابلس: عربي = مالكي، بربري = إباضي. في هذه الحالة، يتوجب التسليم بأن سكان قصر الحاج عرب تماماً؛ لأنهم مالكيون، بل إنهم ينفرون من الإباضية. وبحسب الرواية الشفوية، فإن مؤسس قصر الحاج، الشيخ عبد الله بو قتلاء[18]، قد جاء في القرن الثامن للهجرة لنشر الإسلام السني. فهل كان يوجد حينها بربر إباضيون في المكان؟ وهل آثروا، من أجل الحفاظ على عقيدتهم، الابتعاد نحو القصور التي لا تزال أطلالها قائمة جنوب قصر الحاج[19]؟ أما بالنسبة لـ «هـ. دي أغوستيني»، فإن القبائل التي استقرت في هذه المنطقة هي، على العكس من ذلك، عربية في غالبيتها ومن سلالة

18 - أغوستيني (إي. دي)، (المرجع السابق، ص 447) يقدم الحاج عبد الله بو قتلاء بصفته والد الولي الحاج محمد بن عبد الله أبي قتلة المدفون في بيبوق. غير أن سكان قصر الحاج يؤكدون أن والد وليّنا مدفون بين "الأصابعة". وهو وليّ ذو مرتبة أقل من الحاج عبد الله بو قتلاء.

19 - شكل رقم 7 (مكرر في الأصل) ومن ناحية أخرى، في الزاوية (الضريح الواقع قبالة القصر) دُفن، بحسب مخبرينا، الشيخ بو قتلاء مؤسس القصر، وزوجته المسماة "للا شفا". نجد «تابوت» (ضريح) الشيخ عند الدخول جهة اليسار، وتابوت زوجته جهة اليمين. وعند قدمي التابوت الثاني، تقبع خمسة قبور أخرى على شاكلة تلك الموجودة في مقبرة القرية، لكنها مطلية بالجير. ويُقال إنها تعود لبعض «اللواهشة" غير المعروفين.
على سقف الضريح وجدرانه، نلاحظ - بالإضافة إلى زخرفة بسيطة (خطوط متقاطعة) - عدة نقوش بالعربية. نرصد منها ما يبدو لنا الأكثر أهمية، وقد تم فك رموزها جزئياً ومع تحفظنا التام:
أ) نهاية شعبان، عام... 710... المالك (؟)... عبد الله بن... حاجب (حارس؟) محمد بن يوسف.
12. على سبيل المثال: قصر دلة (جنوب قصر الحاج)، قصر بن سدور (جنوب شرق)، قصر بو نحاسة (جنوب شرق)، قصر بن ابدلة (جنوب)، غرفة بن حسن (شرق).

بني سليم[20]. وكما نرى، فإن البيانات غير كافية؛ لذا تظل المسألة قائمة دون حسم.

فلنعاود النظر في المسألة من زاوية اللغة. نلاحظ، من ناحية، أن الاستعارات من اللغة الأمازيغية نادرة (بل إن مخبرينا يجهلون تماماً هذه اللغة)، ومن ناحية أخرى، أن الكتابات الموجودة على جدران وأسقف المنازل هي باللغة العربية، وتعيد إنتاج آيات قرآنية وأسماء أعلام.

ولنتأمل أيضاً بعض العناصر المعمارية. إن الزخارف مثل تلك التي رُصدت على سقف أحد المساكن (انظر الشكل 1) تمثل لعبة «الخربقة"، وخطوطاً متقاطعة ونقاطاً صغيرة بارزة، وأجزاءً من جسم الإنسان (القدم، وفي امتداد الساعد تظهر اليد الحامية/التميمة). لا يبدو أن هذه النقوش تحمل طابعاً خاصاً، بل يمكن إدراجها ضمن الخط العام للعناصر الزخرفية التي تُلاحظ في منطقة الجبل[21]. أما فيما يخص قبور قصر الحاج، فربما توحي بشكل أكثر وضوحاً بوجود بقايا أمازيغية؛ إذ يتم تمييز قبر الرجل بحجرين قائمين، وقبر المرأة بثلاثة، كما هو الحال في مناطق طرابلس المعروفة بأنها أمازيغية[22]. ومع ذلك، تتميز قبور الأولياء، التي يُرجح أنها حديثة البناء، بشاهد قبر مكسو بالإسمنت ومطلي بالجير الأبيض.

في المجمل، يبدو جلياً أن الاتصالات بين العرب والبربر، وربما بين المالكية والإباضية، قد تمخضت في «قصر الحاج» عن نمط سكن وتنظيم اجتماعي[23] يتماشى مع النمط البربري.

ولكن ما هو الوضع اليوم؟ لقد اختفى التجمع السكاني القديم بالفعل، أما «القصر» فلا يزال في الخدمة، لكن كبار السن هم من يستخدمونه. أما الشباب، فيرحلون للاستقرار في المدن الساحلية، ولا سيما طرابلس. ولم يتبقَّ في أطلال القرية سوى الحيوانات من أغنام ودواجن.

ومع ذلك، وأمام التغيرات المتسارعة التي يعيشها المجتمع الليبي الحالي بصفة عامة، لا يزال الولي «عبد الله بو قتلاء» المحاط بكثير من الإجلال والمقبرة يقيمان - وإلى

20 - المرجع السابق، ص 447.

21- الشكل المركزي الذي قد يمثل شمساً مبسطة، يشبه رمزاً أظهره لنا صديقنا علي سالم على مصباح بيزنطي من نهاية القرن الخامس.

22 - A Ghadamès, autour de Brak (Fezzan). Elles sont semblables, en cela, aux tombes signalées à Igli, en Algérie, par Kazuyashi Namachi in Sahara, Paris, 1978, Ed. Alphabet.

23 - ويُقصد بذلك الاكتفاء الذاتي الاقتصادي الناجّ عن الاستغلال الزراعي وتجارة المواشي.

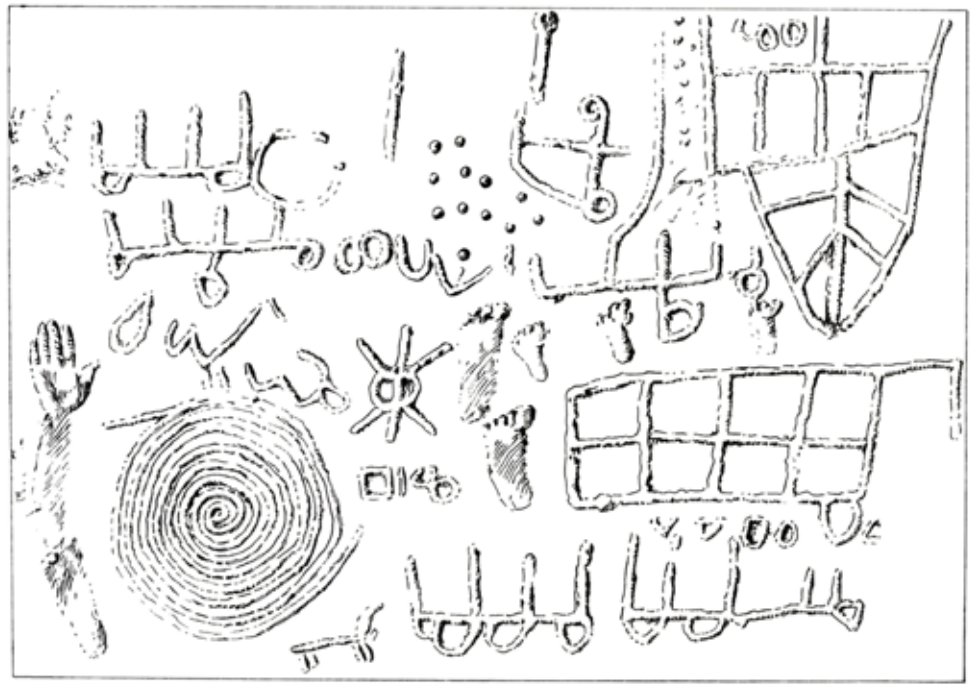

الشكل 1 — تفاصيل لرسومات (غرافيتي) بارزة، تزين سقفاً مقبواً (قبو برميلي) لأحد المساكن الواقعة بالقرب من القصر.

متى؟ - علاقة وثيقة بين القرويين المسنين وقصر الحاج القديم. ومن هنا يُفهم سبب رغبتنا في «توثيق» المجموعة البنائية المكونة من القصر، والقرية، والمقبرة، وأبراج المراقبة، والرسومات الجدارية (الغرافيتي)، مهما كان بقاؤها غير مضمون. وعلاوة على ذلك، نود أن نلفت الانتباه إلى الأهمية التي تكمن في إجراء دراسة شاملة وعاجلة لجميع القصور في منطقة طرابلس.

تحديداً، وفي ظل غياب أي دراسة معمقة لحالات مشابهة لـ «قصر الحاج» لا سيما في منطقة الجفارة، فقد اكتفينا في الصفحات السابقة بطرح بعض الملاحظات. وهذه الملاحظات مرهونة بما قدمته الرواية الشفوية من مساهمة قيمة في نقاط عديدة، والتي يمكن القول عنها إنها ذاكرة الشعوب التي تسد بطريقتها الخاصة إهمال التاريخ.

سنقوم في الصفحات التالية أولاً بوصف «قصر الحاج»، ثم سنعيد تقديم إحدى المقابلات (الأكثر اكتمالاً) التي سجلناها، لتكون شهادة جديدة من الرواية الشفوية.

إن النص بحد ذاته كفيل بتقديم المعلومات؛ فهو يطلعنا على الطريقة التي يتصور بها السكان تاريخهم وتاريخ قريتهم.

الوصف

على بُعد 150 كم جنوب غرب طرابلس، وعند قدم جبل نفوسة (انظر الخريطة)، يمكن تمييز قرية «قصر الحاج» بمخزن حبوبها الكبير الذي يشبه في شكله المدرج الروماني، والذي يمكن رؤيته من الطريق الرئيسي المسمى طريق «اللوطا" (الأسفل): طرابلس-نالوت.

عند قدم القصر، يفتح ضريح الولي «الحاج عبد الله بو قتلاء» بابه في مواجهة باب القصر تماماً. ونذكر بأن معظم سكان هذا التجمع السكاني...

يعتبرون أنفسهم من نسل الولي الذي جاء في القرن الثامن للهجرة تقريبًا (القرن الرابع عشر الميلادي). وهذا التاريخ هو الذي يُطرح عمومًا لزمن بناء «القصور»، سواء في جبل نفوسة الطرابلسي أو في الجنوب التونسي[24].

المدخل الوحيد للقصر هو باب (2 م × 1.20 م) مزود بفتحة مراقبة (عين سحرية)، وتعلوه ثلاثة أحجار - أحدها دائري[25] واثنان مربعان - تحمل نقوشًا يصعب قراءتها[26]. يؤدي الباب مباشرة إلى «السقيفة» المستطيلة (غرفة انتظار) التي يزدان قبوها البرميلي بزخارف هندسية وخطوط متقاطعة. وتحاط «السقيفة»[27] بدورها بغرفتين جانبيتين (اثنتان من كل جهة)، بكل واحدة منهما نافذتان صغيرتان. وبحسب مخبرينا، كانت هذه الغرف الصغيرة تُستخدم لقراءة القرآن، كما كانت مكانًا للاستراحة. ولا تزال توضع فيها حتى الوقت الحالي الوثائق الثمينة، وصكوك الملكية، بالإضافة إلى بعض الأدوات الاستهلاكية (مفاتيح، وغرابيل، وغيرها) داخل صناديق خشبية.

من «السقيفة»، يتم الوصول إلى ساحة القصر الدائرية (التي لا تزال سليمة)، حيث يؤدي درج وحيد إلى الطابق الأخير من الغرف. وفي الطابقين السفليين، يسمح نظام

Cf, LOUIS (A.), Tunisie du Sud, Ksars et villages de crêtes, C.N.R.S., Paris, 1975, p. 128 ; - 24
.BOSSOUTROT (Auguste), Notes sur Médenine, Gsar du Sud, inédit

25 - قد تكون قطعة من عمود أثري قديم.

26 - لا تظهر أي علامة على الحجر المستدير؛ أما الحجران المربعان فيحمل كل منهما عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم".

27 - من داخل القصر، نلاحظ باباً مسدوداً على الجانب الأيمن عند الخروج من "السقيفة". لم يتمكن أحد من مخبرينا من شرح ماهيته. ومع ذلك، يظهر بوضوح أن هذا الباب لم يكن يؤدي إلى شيء، إلا ربما إلى إحدى الغرف الصغيرة في السقيفة.

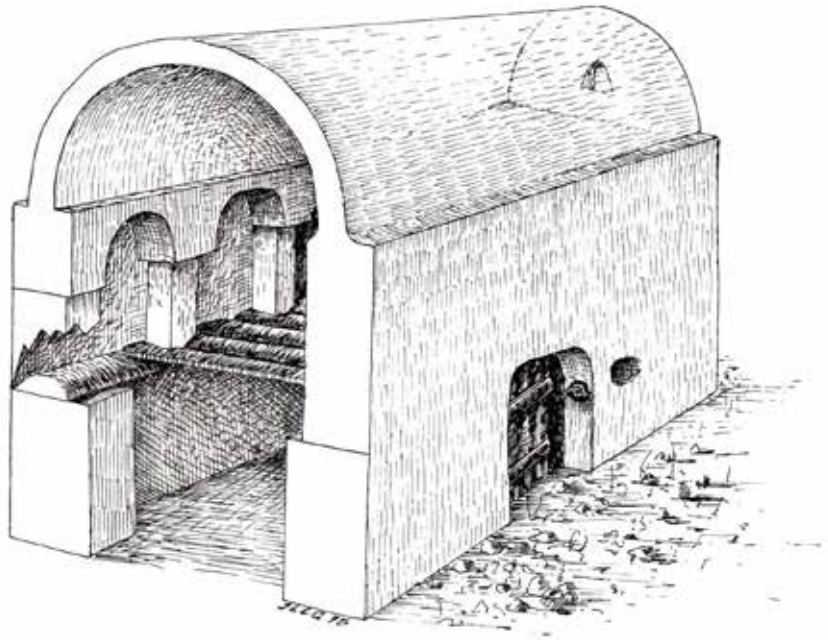

الشكل 2 — «غرفة» في أحد مساكن قصر الحاج

من الخطافات الخشبية بالارتقاء إلى بعض «الغرف»؛ وفي حال غياب هذه الخطافات، يستخدم المالكون سلماً خشبياً بدائياً. كما يظهر فوق الغرفة الأعلى الواقعة قبالة السقيفة - إلى يمينها قليلاً - عارضان على شكل حرف «V»، وظيفتهما المساعدة في رفع أو إنزال أكياس القمح أو الشعير بواسطة بكرة وحبل.

ومن أعلى القصر، نلاحظ أن سقف الغرف، سواء تلك الموجودة في المخزن الجماعي أو في المساكن (انظر الشكل 2)، عبارة عن قبو برميلي. ويمتد المشهد القاحل (باستثناء بعض شجيرات النخيل المتناثرة هنا وهناك) أمام الناظر حتى مسافة كيلومترين تقريباً. ويحد الأفق من جهة الجنوب الشرقي بعض القصور المهدمة تماماً[28].

يبلغ عدد «الغرف» حالياً مائة وخمسين غرفة، موزعة على أربعة مستويات: اثنتان وأربعون في الأعلى، ثم أربعون، ثم سبع وثلاثون، وأخيراً إحدى وثلاثون. وفي المستوى السفلي، تكون الغرف محفورة[29]. هذه الغرف المصطفة بانسجام الواحدة فوق الأخرى لا

28 - انظر أعلاه الهامش 12، قائمة القصور.

29 - انظر الهامش 35

تقدم أي خصائص معمارية لافتة؛ فلا توجد زخارف ولا نقوش. تفتح فتحة الدخول (1 م × 0.80 م) على حجرة ذات قبو برميلي بمقاس 3 م × 2 م وبارتفاع مترين، وهي مزودة بفتحة تهوية تبلغ حوالي 20 سم في الجدار الخلفي. إن الغرف...

تنقسم الغرف العلوية إلى صومعتين أو ثلاث (مخازن داخلية)، ويرجح أن هذا التقسيم يعود إلى أصل البناء (انظر الشكل 3). وتعود ملكية كل صومعة إلى عائلة واحدة، حيث يمكن للعائلة الواحدة أن تمتلك عدة صوامع. ويبلغ سمك الجدران الحاملة حوالي 50 سم؛ أما مادة البناء فهي الحجر الجيري المحلي، المثبت بواسطة الرمل المخلوط بالجير.

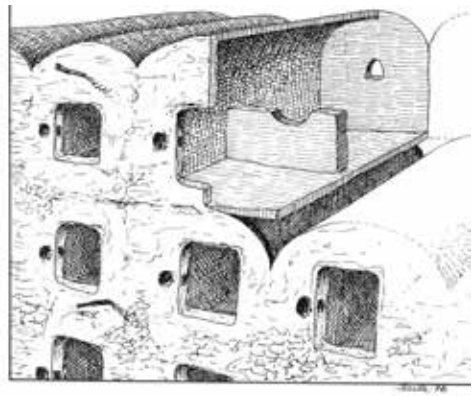

الشكل 3 — مقطع عرضي لغرفة من غرف القصر

إن القصر، وكذلك البيوت التي تحيط به من ثلاث جهات (باستثناء جهة الباب)، ليست محصنة. وتعتبر الحدود الطبيعية التي يشكلها «وادي بلگاف" من جهة الجنوب وسيلة الحماية الوحيدة. ولا توجد أي أبنية في المساحة التي تفصل القصر عن الضريح. وفي الجهة الشرقية، تمتد مقبرة القرية (انظر الشكل 4، قبر الولي "شايب الذرعان" وزوجته).

الرواية الشفوية[30]

- احكِ لي ما تعرفه عن هذا القصر.

- بُني هذا القصر على يد الشيخ[31]؛ في سنة واحدة، يوماً بيوم، بمشيئة الله. كان

30 - أقوال جمعت ميدانياً في 15 نوفمبر 1978 في العاشرة صباحاً (تسجيل مدته ثلاثون دقيقة) من رجل يبلغ من العمر 77 عاماً يدعى محمد؛ وكان يرافقه شيخ يبدو أكبر سناً بكثير ومريض بشدة. وانضم إلينا اثنان من سكان قصر الحاج في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر. ولم يبدُ أن أحداً منهم يكذب أقوال المخبر الرئيسي أو يريد إضافة شيء إليها. مكان التسجيل: غرفة مبنية تستخدم كمكان لالتقاء "شيوخ" القرية وتقع على بعد حوالي 300 متر شمال شرق القصر.

31 - انظر أعلاه الهامش 11.

الشيخ يقيم هناك، في المواجهة تماماً. وكان يستخدمه كزاوية[32] لتوفير احتياجات المسجد[33]. كان الناس يخبئون فيه محاصيلهم. كان يضم مائة وأربع عشرة غرفة، وهو عدد سور القرآن الكريم[34]. وقد بنى باب القصر في مواجهة الزاوية تماماً؛ دون حارس، وكأن القصر نفسه «وليّ». تضع فيه ما تشاء، وتجده دائماً. لا حارس ولا... لا أحد يلمس ممتلكات غيره. وعندما مات الشيخ...

- متى كان ذلك؟

- يقال إن ذلك حدث منذ أكثر من سبعة قرون؛ ربما حوالي عام 760 للهجرة[35]. ولما مات الشيخ، تقاسم أبناؤه القصر.

- ومن هم أبناؤه؟

- أولئك المسمون «أولاد عبد الله»، سكان قصر الحاج. لا يزالون موجودين، ونحن أحفادهم: أولاد الحاج عبد الله. عائلات كثيرة...

- على سبيل المثال، من هي هذه العائلات؟

- هناك قبيلة الكرشان، وقبيلة اللواهشة، وقبيلة حوش البحري، وقبيلة البزازة، وقبيلة عيال ساق محمد؛ خمس قبائل، خمس لَحمات[36].

- من أين أتوا؟

32 - مكان ينسب لولي، حيث يُدرس القرآن ويجتمع فيه الناس الذين يجلّون هذا الولي خلال بعض الأعياد الدينية.

33 - لتغطية تكاليف ترميم الزاوية والمسجد، يواصل سكان قصر الحاج جمع تبرعات مالية كل عام. ولم يعد يتم اقتطاع "حصة" من المحصول كما في السابق. ولعل هذا هو السبب في أن المسجد والضريح في حالة جيدة.

34 - لا شيء يسمح لنا بالاعتقاد بصحة هذه الرواية ولا بالشك فيها. ومع ذلك، فهي تعبر عن الرغبة العميقة لسكان قصر الحاج في إضفاء قدسية على ما يشكل المركز الحيوي لقريتهم. فالقرآن، النص المقدس والمنزه الذي لا يرقى إليه الشك، مقسم إلى مائة وأربع عشرة سورة. ومن وجهة النظر هذه، من المثير للاهتمام ملاحظة أن سكان قصر الحاج يواصلون التصريح بأن القصر يتكون من مائة وأربع عشرة غرفة، بينما هو في الواقع يحتوي على مائة وخمسين. ويُفسر الفرق كالتالي: غرف الطابق السفلي حُفرت لاحقاً، وبعض غرف الطوابق الثلاثة العلوية تم تقسيمها قبل بضع سنوات.

35 - بخصوص هذا الموضوع، تذكر الرواية أن القبو البرميلي للسقيفة كان يحمل قديماً تاريخاً مرئياً تماماً فوق المدخل مباشرة؛ ويُقال إنه غُطي بالجبس منذ فترة. ويمكن الاعتقاد بأن التواريخ (700-760 هـ) التي قدمها مخبرونا تستند إلى شهادة أشخاص قرأوا هذا النقش قبل اختفائه. علاوة على ذلك، ذكر لويس (أ.) (المرجع السابق، ص 128) تاريخاً تقريبياً (القرن الرابع عشر) لبناء القصور في الجنوب التونسي.

36 - كان التوزيع القبلي يتطابق مع التوزيع الجغرافي المثبت في المخطط المرفق قبل الاستقرار في قصر الحاج الجديد.

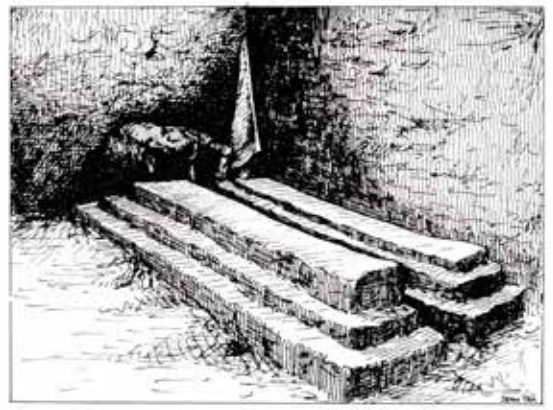

الشكل 4 — قبرا الولي "شايب الذرعان" وزوجته، ويقعان على بعد أمتار قليلة شرقي القصر

- في الأصل، أتوا من الساقية الحمراء[37]، من الغرب. أتوا واستقروا هنا. أما أحفاد سيدي الحاج الذين يسمون «الأصابعة»[38]، فقد استقروا في المنطقة، ليس بعيداً من هنا، في "المصابحة". وهم من أولاد الحاج أيضاً؛ وأصلهم من هنا، من قصر الحاج. وبعد وفاة الشيخ، وُزعت الغرف على القبائل؛ كلٌّ ونصيبه...

- هل كانت لكل عائلة غرفة؟

- لا، كلٌّ ونصيبه، «حصة»؛ عائلة تملك غرفة، وأخرى تملك ست غرف؛ حسب...

- حسب ماذا؟ ... إذن، في البداية لم تكن الغرف موزعة بين العائلات؟

- لا، الغرف في البداية كانت جميعها ملكاً للشيخ؛ كانت «حبساً» (وقفاً)[39] للشيخ. كان يستخدمها لسد احتياجات الزاوية، ولم يكن قد وزعها. بعد ذلك تم توزيع القصر. ماذا كانوا يضعون في القصر؟ - الزيت، والقمح، والشعير، والتين المجفف[40]. كانوا يضعونها في المائة وأربع عشرة غرفة العلوية؛ أما الغرف السفلية فقد حُفرت حديثاً، وتسمى

37 - انظر ديبوا (ج.)، المرجع السابق، ص 182.

38 - انظر أغوستيني (إي.)، المرجع السابق، ص 445.

39 - لم يشرح لنا المخبر كيف تم إنهاء هذا "الحبس" إذا كان حقاً كذلك، لأن الغرف في الوقت الحالي هي ملكية خاصة لسكان قصر الحاج.

40 - هذه هي المنتجات الزراعية التقليدية للجفارة والجبل حتى يومنا هذا: «الزراعة وتربية الأغنام - كما قال السيد دي ماتوزيو في عام 1912 - التي تتم بعناية في وديان الجبال وفي بعض أراضي الجفارة أو الهضبة، توفر للجباليين سبل عيشهم. فنادراً ما ينقصهم دقيق الشعير والزيت والتين واللحم. وفي أكتوبر يبدأ قطاف الزيتون، أما التين فيُجمع في أبريل. والكرمة، في حقول محروثة بالمحراث، تشغل بشكل خاص الجاليات اليهودية الصغيرة التي تملك الإذن بصنع نبيذ منها، وهو بالمناسبة رديء جداً. وتأوي الماشية خلال الموسم السيئ في الكهوف؛ ثم مع أولى نسمات الربيع الدافئة، تنتشر في مراعي الهضبة». (انظر: طرابلس الأمس والغد، ص 50-51).

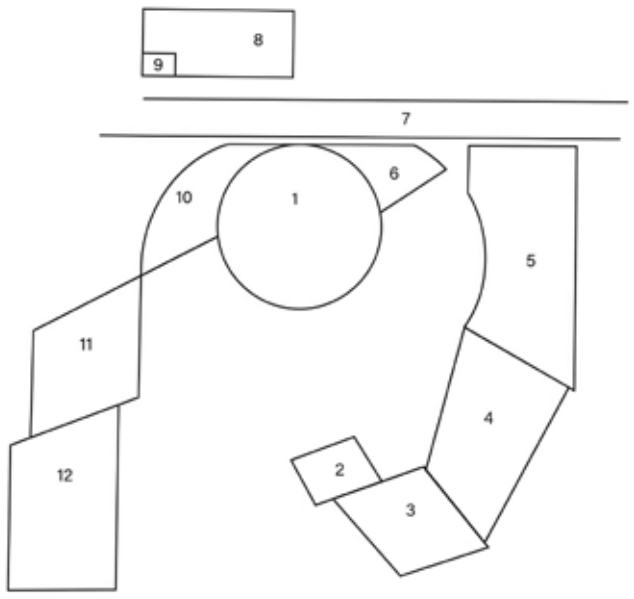

الشكل 5 — مخطط التوزيع الجغرافي-القبلي لقصر الحاج. 1. القصر - 2. الولي بو قتلاء - 3. المسجد - 4. قبيلة الكرشان - 5. قبيلة بحري - 6. قبيلة اللواهشة - 7. نهر الدناجي - 8. قبيلة البزازة - 9. الولي عمر بزيز - 10. قبيلة ساق محمد - 11. قبيلة القمامدة - 12. المقبرة.

أيضاً «دواميس»، أي أقبية، يوضع فيها العتاد الزراعي، «المحاريث» و«المناجل»، والزيت أيضاً والزبدة «السمن». ولكل غرفة باب وقفل[41].

- هل صحيح أنه لا يزال يتم حفر «غرف» جديدة؟

- نعم، الصف السفلي من الغرف حديث العهد. فأولئك الذين يملكون غرفاً في المستوى الأول يقومون أحياناً بحفر غرف أخرى تحتها[42].

- قيل لي إن سكان قصر الحاج يمارسون حياة البداوة (الانتجاع)، ربما مرتين في السنة؛ مرة في الربيع...

- لا، يرحلون مرة واحدة فقط في السنة، في مثل هذا الوقت تقريباً، عند سقوط

41 - يقال إن سيدي عبد الله كان "أعطل" (يستخدم يده اليسرى)، وهو ما يفسر أن الأقفال الخشبية للغرف تقع جميعها في الجانب الأيسر، بما أنه بناها وحده ووفقاً لمعاييره الشخصية: فإلى يسار الأبواب الأصلية للطوابق الثلاثة العلوية، حُفرت بالفعل فتحة، يُدخل المرء يده اليسرى فيها ليدفع أو يسحب، بواسطة مفتاح خشبي (المفتاح) يحتوي في أحد طرفيه على ثلاثة أو أربعة مسامير عمودية بارزة، العارضة الخشبية التي تعمل كلسان للقفل (البقلة)؛ حيث تدخل مسامير المفتاح في ثقوب مقابلة في "البقلة". وعند السحب نحو الذات، ينفتح الباب (انظر الشكل 6).

42 - كانت هذه الممارسة في حقبة لم تحددها الرواية. حالياً، ربما لضيق المساحة، لم يعد يتم حفر غرف أخرى. ومع ذلك، تجب ملاحظة أن هذه الغرف الجوفية غير مقسمة، وأبعادها أكبر قليلاً من غرف الطوابق الأخرى. كما أن غياب الطلاء يترك مداميك الحجارة الصغيرة غير المنتظمة التي تشكل جدرانها واضحة للعيان. هذه الخصوصيات لا تسمح بالجزم ما إذا كانت هذه الغرف لاحقة حقاً للغرف الأخرى.

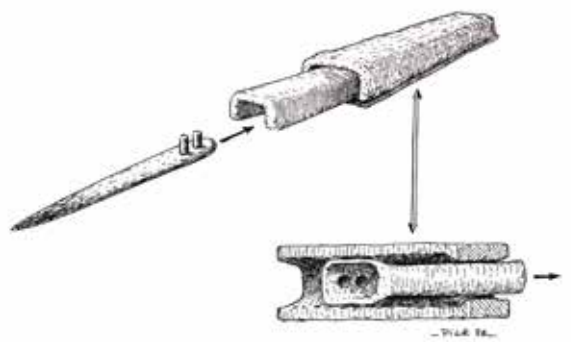

الشكل 6 - القفل المستخدم للغرف: "البقلة" و"المفتاح".

الأمطار[43]. يرحلون إلى الجفارة، حيث يبنون «قوربي» (كوخاً) أو «بيتاً» يحيطونه جيداً بأغصان الأشجار للاحتماء من البرد... استمع... يبنون أيضاً حظائر محمية جيداً يضعون فيها القطيع، خوفاً من هجمات ابن آوى أو الثعلب أو حيوانات أخرى...

- إذن، من الجفارة يأتي المحصول؟

- نعم. حالياً هو فصل الأمطار؛ سنذهب لحرث الأرض. في السابق، كنا نتنقل على ظهور الجمال، ونغيب لمدة خمسة عشر يوماً أو ثلاثين؛ حسب المطر. مرت سنة حرثنا فيها لمدة خمسة وخمسين يوماً؛ كانت سنة خصبة. أما الآن، فنذهب ليوم واحد فقط، ومع غروب الشمس نكون قد عدنا. آه، لقد كان الزمان صعباً في الماضي؛ لقد سبق وأن قضينا خمسين يوماً تحت المطر وفي الطين والبرد. اليوم، مع التطور، تغيرت الأمور كثيراً... لا بد من ذلك... لا بد! لا نملك إلا أن نتمنى أن يستمر هذا، وأن ينصرنا الله، نصر الإسلام.

- هل تعرض القصر للتدمير، ولو جزئياً؟

- لم يتعرض للتدمير أبداً، أما الآن فسوف يتدمر؛ لم يعد أحد يبالي به. والحكومة أيضاً لا توليه اهتماماً. أنت ترى، تأتي أنت من بعيد جداً لكي تراه، ولكي تتحدث عنه للآخرين...

- إذن هذا القصر لم يُهدم؟

- لا... عندما تتضرر «غرفة» قليلاً، نقوم بما يلزم[44]، ثم، ثم... لم يعد هناك الكثير من الشعير بداخلها، هنا نحصد الشعير والقمح، ولكن لم يعد هناك منها مثلما كان في السابق...

43 - خاصة شهري نوفمبر وديسمبر.

44 - بالفعل، تم تدعيم عدة غرف ظهرت تشققات في أقبويتها بواسطة جدار طولي، مما أدى إلى تقسيم الغرفة إلى اثنتين.

- لماذا؟

- لقد مضت ثلاث سنوات لم نعد نحرث فيها الأرض بسبب نقص المطر... ثم... الأمور تغيرت كثيراً. الآن هؤلاء الشباب لم يعودوا يأكلون الشعير، أجل، لم يعودوا يأكلون خبز الشعير[45]. وكذلك الأمر بالنسبة للتمور! انظر إلى هذه النخيل، لم يعد أحد يعتني بها...

- هل كان هناك الكثير من أشجار النخيل هنا؟

- نعم.

- ماذا كنتم تفعلون بالتمور؟

- كنا نأكلها. وكنا نخزن بعضها أيضاً لنأكلها في فصل الربيع. أتعلم، لقد كان التمر الطعام المفضل للنبي[46]

- لقد رأيت هناك، في الطريق إلى قصر الحاج، بعض الأبنية؛ تبدو وكأنها «مرقب»، أي أبراج مراقبة؛ ما هي بالضبط؟

- نعم، إنها أبراج مراقبة. إنها قديمة (قدُم)، تلك التي تراها وسط النخيل. كان الناس يسكنون فيها للحراسة.

- الحراسة! لماذا، وضد من؟

- كنا نحرس النخيل، ثم إن الناس كانوا يشعرون بالخوف لأن البعض كان يغزو البعض الآخر. لذا، كان خمسة أو ستة أشخاص يختبئون في «المگزبرة"، برج المراقبة (40).

- إذن، ألم يأتِ الإيطاليون إلى هنا؟

- الطليان جاؤوا طبعاً، واستعمروا المكان. أنت ترى آثارهم هناك: ذلك البناء الذي نسميه "البراكة"، أي الثكنة. لكنهم لم يقصفوا القصر.

- لا؟

- لا، لم يقصفوه. هذا القصر، في زمن تركيا؛ الأتراك دمروا كل القصور، كل القصور

45 - هذا السبب الأخير يبدو لنا الأكثر قبولاً. فمن ناحية، كانت معدلات الأمطار في العامين الأخيرين من بين الأعلى، ومن ناحية أخرى، نشهد حركة هجرة متسارعة نحو المدن حيث يجد الشباب فرص عمل بسهولة أكبر في الإدارات.

46 - الحديث النبوي يذكر أن طعام محمد كان يتكون من تمرين وقليل من لبن الغنم.

دمروها... جاء قائد تركي إلى هنا؛ وأقام مقره هناك، قرب النخيل حيث يوجد حالياً مقر اللجنة الشعبية، وكان ينوي تدمير القصر[47]. قيل له إن هذا القصر يخص شيخاً، ولياً... فقال «لا بد أن أدمره». وفي الليل - حاشاك![48] - جاء ثعبان عظيم والتف حول القائد التركي وهدده بإنهاء حياته إذا ما شرع في تدمير القصر. وفي الصباح، رفع القائد التركي الحصار عن قصر الحاج[49].

- ولكن هل هناك قصور أخرى لم تُدمّر؟

- جميعها دُمّرت؛ قصر كاباو[50]، وقصر نالوت، وكذلك قصر الزنتان الذي تراه من الخلف. وحده قصر الحاج لم يُدمّر؛ أما قصر جوش فقد هُدم هو الآخر في زمن الأتراك.

- ولماذا دمرها الأتراك؟

- لأن السكان كانوا يستخدمونها في الحرب.

- وهنا؟

- هنا، لم يحارب الناس أحداً، لا الأتراك ولا الإيطاليين[51].

- لقد عرفتُ رجلاً عجوزاً كان يحرس القصر

- أربعة حرسوه

- كم من الوقت؟

- الأخير حرسه لمدة عشرين عاماً؛ والذي قبله لمدة ثلاثين عاماً؛ والذي قبلهما، إن كنت أتذكر، «البكّاي» حرسه لمدة أربعين عاماً؛ أما من قبله فقد نسيت. ولكنك قلت لي إن الشيخ جاء إلى هنا في حوالي القرن السابع أو الثامن؛ منذ ذلك الحين، هل مر وقت طويل؟

- نعم، مر وقت طويل ونسينا... كان تاريخ بناء القصر مكتوباً عند المدخل مباشرة، في الأعلى جهة اليسار... لقد بحثنا عنه... لكنه لم يعد موجوداً.

47 - الأبراج ذات المقطع المربع لا تحتوي على أي تجهيزات داخلية باستثناء "فتحة رجل" تسمح بالمرور إلى الطابق العلوي حيث يتم الارتقاء بالاستعانة بأحجار بارزة من الجدران. وللقيام بالحراسة، كان بإمكان المراقب الجلوس على واحد من أغصان الزيتون الأربعة المثبتة في الجدران.

48 - هذا يوحي بأن الأتراك كانوا يخشون رؤية القصر يلعب دوراً عسكرياً.

49 - تُقال للمخاطب لحمايته من سوء الطالع (حاشاك).

50 - الأحلام التي يتحول فيها الولي إلى ثعبان أو تنين معروفة جيداً في شمال أفريقيا.

51 - دُمّر جزئياً فقط.

آخر شعبان سنة
عشر وسبعمائة ....

محمد بن محمد بوجالة

صاحب (؟) ... عبدالله بن
حاجب محمد بن يوسف

- ما كان اسم العجوز الذي يحرس القصر؟

- محمد بن حميد بن عون[52].

- هل كان يحرسه متطوعاً؟

- لا، بل كنا نكتري خدماته (نستأجره).

- كيف؟

- في الماضي، لم يكن المحصول وفيراً؛ لذا، كنا نعطيه عن كل «غرفة» مَلطةً واحدة من الشعير؛ وهي تعادل تقريباً ما بين اثني عشر وثلاثة عشر كيلوغراماً. أما الآن فقد أصبحت الحياة أغلى؛ لذا صار يأخذ مَلطتين عن كل غرفة.

- هل كان يُعطى مالاً؟

- لا، أبداً؛ فقط الشعير.

- لماذا، هل هو حرام؟

- لا، ولكن الناس كانوا يودعون الشعير، لذا كانوا يدفعون له بالشعير... قديماً، كان يفتح القصر من الثامنة صباحاً حتى الواحدة ظهراً، يستريح ساعتين، ثم يفتحه ثانية حتى الثامنة مساءً؛ كل يوم. وخلال فصل الربيع، عندما يرحل الناس إلى الجفارة، كان يبيت في القصر لأن الناس (ولا يزالون يفعلون ذلك اليوم) يودعون فيه وثائقهم: العقود، وأوراق البيع وغيرها... يمكنك رؤيتها في تلك الصناديق عند مدخل القصر.

52 - القصور المذكورة مهدمة جزئياً. وهناك قصور أخرى تقع على التلال المجاورة وهي أطلال بالكامل، على سبيل المثال: قصر دلة جنوباً ويسكنه «الصبوع»؛ قصر بن سدور في الجنوب الغربي؛ قصر بو نحاسة في الجنوب الشرقي؛ قصر بن عبد الله جنوب قصر دلة، وإلى الشرق منه توجد "غرفة بن حسن" التي كانت، بحسب مخبرينا، "قصراً رومانياً" (؟).
وبحسب أقوال مخبرينا أيضاً، كانت هذه القصور محصنة سابقاً. ومن ناحية أخرى، على مساحة أربعة كيلومترات مربعة، لا نعد أقل من أربعة أضرحة (مرابطين).

- الناس يلقبون الشيخ «مرابط»، لماذا ليس «ولياً»؟

- لأن كلمة مرابط بالعربية تعني الرجل الصالح (القديس).

- هل المقبرة الواقعة أمام (ضريح) الشيخ مخصصة لسكان قصر الحاج؟

- ليسوا وحدهم. فالناس الذين يتوفون في الجفارة، يُؤتى بهم إلى هذه الزاوية[53]، يُغسلون ثم يُدفنون هنا.

- القبور هنا ليست مثل قبور طرابلس؟

- نعم! هنا نحفر حفرة لمواراة الميت، ثم نضع على السطح «جميرة» (حجراً) عند مستوى الرأس وأخرى عند القدمين...

- للرجل وللمرأة على حد سواء؟

- للمرأة علامة مميزة: نضع في المنتصف حجراً ثالثاً.

- والأطفال؟

- الولد مثل الرجل، والبنت مثل المرأة.

- والأجانب عن القرية؟

- لا فرق[54].

- سكان قصر الحاج، ماذا يعتبرون أنفسهم، عرباً أم بربراً؟

- عرب، نحن جميعاً عرب. هناك «جبالية" (بربر) في المنطقة؛ في نالوت هم جبالية، وفي فساتو جبالية.

- البربر يسكنون الجبل؟

- والعرب أيضاً. غالباً ما تكون أشجار الزيتون هي التي تفصل في القرية الواحدة بين العرب والبربر. في فساطو شمالاً هم جبالية؛ تفصلهم أشجار الزيتون عن العرب؛ وكذلك الأمر بالنسبة للزنتان[55]. كلمة "بربر" لا تشير إلا إلى اللغة (لغوة)، لكننا جميعاً

53 - خلال زياراتنا، لم نتمكن من التواصل مع هذا الحارس؛ فهو يبلغ من العمر 95 عاماً وعاجز عن الحركة. أما فيما يخص "البكاي"، فيمكن الاستنتاج - بناءً على حسابات مخبرنا - أنه عمل من عام 1886 إلى 1926.

54 - المقصود بالطبع هي تلك (المذكورة سابقاً) التي تجاور الضريح.

55 - بقايا بربرية؟

مسلمون. التاريخ يتحدث عن حروب بين العرب والبربر، هل وقعت هنا...؟

- بلى، وقعت بينهم؛ بل وقعت كثيراً!

- لماذا؟

- السبب الوحيد هو أن البعض يريد السيطرة على الآخرين[56]. لقد كان ذلك بسبب الجهل؛ فالله وحده هو المسيطر. يقول الناس أيضاً إن العربي مسلم والبربري إباضي...

- في أيامنا هذه، في بلاد القذافي، لا يوجد فرق. «البربرية» هي لغوة (لغة)؛ لكنهم مسلمون مثلنا. يصلون، ويؤتون الزكاة[57]، ويحجون... نعلم أنه في تونس يوجد إباضيون في جربة... نعم، نعم... هناك بعض التفاصيل التي تفصلنا وتجعلنا نختلف عن البربر[58]؛ على سبيل المثال، نحن لا نأكل الذبيحة التي تسقط من أعلى الجبل أو تلك التي تموت نتيجة التخمة؛ هم يأكلونها. وفي قصر الحاج؟ لا، لسنَا إباضية: قصر الحاج كان معقلاً للعلم (العلوم الدينية). لقد كان هناك، على سبيل المثال، الشيخ محمد بن الحاج قاسم وأخوه الشيخ علي؛ وقد درسا في الزيتونة[59] في تونس[60]».

56 - بحسب ديبوا (ج.) (المرجع السابق، الفصل الثاني، ص 294 وما بعدها)، كان العنصر البربري يسعى إلى «السيطرة» على العنصر العربي خلال الاستعمار الإيطالي عن طريق حيازة الأراضي. لأن البربري كان هو من هاجر، خاصة إلى تونس، ليوفر لنفسه الإمكانيات المالية التي تسمح له بتعزيز مكانته الاجتماعية.

57 - ضريبة سنوية على الأموال يجب على كل مسلم توزيعها على المحتاجين قرب نهاية شهر رمضان (أو للطرق الصوفية أو لحكومة بلده)، وهي أحد الأركان الخمسة الواجبة في الإسلام مع الشهادة، والصلوات الخمس، والصيام، وحج مكة.

58 - هل أدرك مخبرنا أنه يربط ضمنياً بين "البربري" و«الإباضي"؟

59 - الجامعة الدينية الأكثر عراقة في تونس.

60 - لم نتمكن من تحديد هوية الشيخين المذكورين.

بدايات العمران في جبل نفوسة

دكتور عيسى مسعود بغني[61]

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بدايات العمران في جبل نفوسة من خلال مقاربة تاريخية-أثرية تربط بين العوامل البيئية والتحولات المناخية والحراك السكاني عبر العصور. ويُبرز خصوصية الجبل كمنطقة شبه صحراوية محدودة الموارد المائية، ما حال دون نشوء تجمعات عمرانية كبرى، وجعل الاستقرار البشري فيها مرتبطًا بالاعتبارات الأمنية أكثر من الاقتصادية. كما يعتمد البحث على نتائج تحاليل الكربون المشع (C14) التي أُجريت سنة 2013 على عينات من مباني وقصور جبلية بمنطقة نالوت ومحيطها، والتي كشفت عن فترات زمنية محددة لتطور الاستيطان وبناء القصور.

ويُظهر التحليل أن العمران الجبلي ارتبط أساسًا بموجات هجرة متتالية من الساحل إلى الداخل، خاصة خلال القرنين الخامس والثامن إلى الثالث عشر الميلادي، في سياق الاضطهادات الدينية والصراعات السياسية. وقد أدى ذلك إلى نشوء نمط عمراني دفاعي قائم على القرى والقصور المحصنة فوق قمم الجبال، تطور تدريجيًا مع استقرار السكان وتوسع نشاطهم الزراعي المحدود. ويخلص البحث إلى أن عمران جبل نفوسة هو نتاج تفاعل معقّد بين البيئة القاسية والضغوط التاريخية، ما يفسر خصوصيته مقارنة بالمناطق الساحلية الليبية.

الكلمات المفتاحية: جبل نفوسة، العمران المبكر، الهجرة إلى الداخل، القصور الجبلية، الكربون المشع (C14)، العمران الدفاعي.

مقدمة

العمران كما وصفه أبن خلدون « أنه السكن بصورة دائمة والعمل على التقدم والازدهار»[62] وبذلك جمع ابن خلدون بين عناصر الاستقرار السكني والترابط الاجتماعي

61 - دكتور عيسى مسعود بغني أكاديمي ومؤلف لعدة كتب وكاتب في العديد من الصحف والمجلات الاليكترونية.

62 - ابن خلدون، ص 30، دار المعارف، بمصر، 1962.وأنظر د. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، ط 3، بيروت، ص 197

والنشاط الاقتصادي، وهذا يتاتى بسهولة على ضفاف الانهار، ويقل في المناطق شبه الصحراوية بل كثيرا ما ينعدم في الصحراء الجرداء.

جبل نفوسة كجزء من الشمال الافريقي بين سيوة وقابس يقع في منطقة قليلة الموارد المائية، ولذا لم تتركز به كثل سكانية منذ العصر المطير الى الآن. ما نشاهده من رسوم في جنوب ليبيا كنقوش اكاكوس ولوحات تيسيلي ما هي الا تواجد للجماعات البشرية البدائية التي تحتمي بالكهوف أو المساكن المؤقته في غابات او مناطق رعوية في العصر المطير بين الالفية العاشرة والسادسة قبل الميلاد، وفي هذه الفترة كان جبل نفوسة مغطى بغابات كثيفة، مع إنتشار الحيوانات الضارية، مما لا يسمح بوجود تجمعات سكانية كبيرة.

العصر الحجري الحديث (Neolithic) في شمال افريقيا كان بين 8000 الى 4000 ق م، وهو بداية الجفاف، ومعه ظهرت الحضارة القفصية[63] الى الغرب من جبل نفوسة، ولا يعدم التاثر بها، ولذا وجدت الكثير من السهام والفؤوس الحجرية المذببة في سهل نالوت بالقرب من وادي الـگبيل وربما في الكثير من اماكن سهل الجفارة، كما أن إنتشار صناعة الاواني الفخارية المشهورة في كل مدن جبل نفوسة كانت من تلك الفترة. أما في العصر البرونزي 3300 الى 1200 قبل الميلاد والحديدي من 1200 ق م الى 332 ق م فلم تتغير طبيعة الحياة كثيراً، لعدم وجود انهار تبنى عليها مدن كبيرة، لها تجمعات سكانية تسمح بانتشار العمران، ومنها صناعة المعادن.

وبذلك فان انتقال المجموعات البشرية من الجنوب الى الشمال واكب إنتشار الجفاف والتصحر، فكلما اصاب الجفاف منطقة من البلاد غادرها الجموع الى الشمال حتى انحسر العمران على الشريط الساحلي، وغادرها اخرين شرقا وغربا الى بلاد وفرة المياه، ومن ذلك هجرة قبائل التحنو الليبية الى النيل في عهد الاسرة الفرعونية الخامسة[64]، وهجرة كتامة مع الفاطمين الى مصر سنة 972 م.

ورغم إمتداد أملاك الدولة الفينيقية الى سرت شرقا فان سلطتها كانت قاصرة على الشريط الساحلي، وبالمثل لا توجد دلائل تؤكد، إمتداد أملاك نوميديا الى جبل نفوسة في القرنين الاول والثاني قبل الميلاد. ومع بداية الالفية الاولي الميلادية كل ما لدينا هو

Phytolith evidence of mid-Holocene Capsian subsistence economies in North Africa", by Julie - 63
the-north-african-neolithic-the-aegean-/14/01/Shipp et al. (2013), https://novoscriptorium.com/2021
/myths

Borchardt,op. cit. p.17 - 64

خط دفاع للتخوم الطرابلسية من بوڤيم إلى گرزة ثم الـگريات ثم سفوح جبل نفوسة الى داخل الحدود التونسية الذي اقامته الدولة الرومانية في نهاية القرن الاول الميلادي. وفي القرنين الرابع والخامس والسادس الميلادي ظهرت بعض الكنائس المسيحية في جبل نفوسة وإمتداداته[65]، منها كنيسة الاصابعة وتقع على بعد 3 كم شمال غرب مدينة الاصابعة، وكنيسة الخضراء على الطريق بين ترهونة والقصبات، وكنيسة بزرة على مسافة 20 كم جنوب شرق بن وليد وكنيسة خفاجي عامر على بعد 25 كم شرق مزدة، كما أن إنتشار اسماء مواقع مثل تغليس وتماسخت وتاحوريت في جبل نفوسة دليل على وجود اماكن عبادة مسيحية وإن لم تكتشف بعد. الا ان تلك الاسوار وبعض المباني والكنائس لا يدل على تكوين مدن بمرافقها قدر تكوين أماكن عبادة أو حاميات عسكرية يستعملها الرومان لردع هجمات الدواخل ومنعها من الوصول الى لبده وصبراته واويا، المدن الحضرية على الساحل، التي إمتزح الليبيون بتلك المدن وحضارتها وأصبحوا جزا منها.

النتائج العملية لتحاليل بقايا المباني التاريخية بمنطقة نالوت:

من الأسئلة المحيرة لليبيين والتي لم يتم الاجابة عنها بعد، لماذا تم بناء مدن لها قصور منيعة، على قمم سلسلة جبال نفوسة، ومدن شبه صحراوية في بن وليد وترهونة ومزدة في حين أن هناك شاطي طويل على البحر وسهل كبير ملاصق للساحل، وهو سهل الجفارة وهناك مدن كبيرة على الساحل يمكن لها أن تستوعب الملايين، ولها من سبل الحياة مثل الزراعة والتجارة وصيد الاسماك أفضل الفرص من قمم الجبال الوعرة.

سؤال بناء المدن على قمم الجبال الذي راودنا كثيراً نعود به إلى سنة 2013م، حين تم تجميع عينات من أساسات العديد من القصور الجبلية والبيوت والمعابد القريبة منها بمنطقة نالوت، وهي قصر تكويت على بعد 20 كم شمال نالوت، وقصر الحدادين بمنتصف جبل نالوت والبيوت الملاصقة له في تيندار، وكذلك قصر نالوت الحالى على قمة الجبل، والمعبد اليهودي الملاصق له، كما تم أخذ عينات أخرى من قصر زطوان على بعد كيلومترات قليلة جنوب غرب الحوامد، وعينات من مدينة تاغرويت المهجورة شمال تكويت، وتم إرسال تلك العينات إلـــى جامعة كوينز ببلفاست بأيرلندا الشمالية، حيث قامت الجامعة بتحليل العينات بواسطة الكربون 14 المشع وتحديد عمر تلك المباني كما في الجدول(1).

65 - معالم من ألاثار المسيحية المبكرة في ليبيا، محمد عيسى، مجلة تراث الشعب، العدد 6 (1993).

جدول(1) نتائج تحاليل عينات الكربون سنة 2013م لتحديد عمر المبانى التاريخية وسنة البناء.

المبنى	الاحداثيات (google map)	العمر سنة+	الإنحراف (±)	تاريخ الانشاء	
				الميلادي	الهجري
قصر تكويت(1) أساسات	N 11°01›28.9»E«25.1‹31°57	907	28	1106	499
قصر تكويت(2) أساسات	N 11°01›27.1»E«24.3‹31°57	1517	29	496	138 ق.ه
قصبة تاغرويت: حائط	N 11°05›05.5»E«08.8‹32°01	1036	31	977	366
مبني خلف تيندار	N 10°59›27.1»E«54.2‹31°51	1134	36	880	266
قصر الحدادين: أساسات	N 10°59›29.4»E«46.3‹31°51	911	30	1102	495
قصر نالوت[66]	N 10°59›12.6»E«01.6‹31°52	129	23	1884	1301
قصر نالوت[67]	N 10°59›12.1»E«01.4‹31°52	573	32	1440	843
قصر نالوت(3)[68]	N 10°59›12.2»E«02.0‹31°52	582	28	1431	834
المعبد اليهودي	N 10°59›12.3»E«00.7‹31°52	534	30	1479	883
قصر زطوان	N 11°05›20.8»E«52.4‹31°52	615	26	1399	801

من الوهلة الاولى أن نتائج تلك التحاليل توضح زمن وضع الاساسات لتلك المباني، (ولقد تم إستعمال عينات الاساسات لغرض تلافي إحتمال إعادة البناء بعد تهدم المبني وهو إحتمال وارد) ولكن تنوع أماكن أخذ العينات يعطي نمط معين (Trend) للنتائج تقل فيه نسبة الخطاء كثيرا[69]. ورغم أهمية تلك النتائج لكل مبنى على حدة، وهو تحديد زمن

66 - عمر المبني بالنسبة لسنة 2013م، عينة قصر نالوت، من مكان مستصلح إنهار في العهد العثماني الثاني.

67- عينة من أساسات غرفة أقصى جنوب غرب القصر. قصر نالوت

68 - عينة من أساسات غرفة يمين مدخل القصر.

69 - من أجل زيادة التاكد من النتائج يمكن مقارنة نتائج التحاليل الحالية بالقصر القديم او قصر الزناتي الذي يوجد بواد زنداق، على بعد 18 كم جنوب شرق مدينة تطاوين بتونس، والذي شيده ابو داود بن عبد الرحمان بن الياس الواسيني. ويشير النقش على سقيفة القصر بأنها بنيت» يوم الجمعة في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربع مائة بعد موت النبي عليه السلام» وهذا التاريخ يقابل 1093م (486 ه). وهذه الفترة قريبة من زمن

بناء القصر تقريبا، والذي ينطلق من مبداء أن تواجد البشر في مدن جبل نفوسة تطلب دائما بناء قصور عامة لتخزين المؤن وأماكن العبادة وبيوت للسكن، ويبقى القصر هو المبنى الاكثر أهمية لانه يخص الجميع ويكون عادة في أعلى قمة الجبل أو أعلى منطقة في المدينة حتى يتمكن الاهالي من إستعماله كحصن للدفاع عن أنفسهم، ولكنه ليس المبنى الاول في اي مدينة بل يتم بناءه بعد فترة من تشييد المساكن والاستقرار بما يكفل وجود إنتاج زراعي ووجود حاجة لبناء مخزن لتلك المشتقات الزراعية.

يقول الكاتب الإيطالي ج.روسي[70] « إن المنطقة الواقعة بين الحرابة ووازن في الجهة الغربية يوجد بها عدد ما يقارب الخمسين قصراً أكثرها متهدم ولكن البعض منها في حالة جيدة « ومنذ ذلك التاريخ (اي بداية القرن العشرين) بقي الحال على ما هو عليه بسبب الإهمال الذي طال الإنسان والشجر والحجر لأحقاب طويلة، وإنه من سؤ الطالع أن نرى أثار مدينة شروس وقصر كباو وجادو والثلثين وجناون (ئـگناون) وتيغيت بمثل ذلك السوء من الإهمال.

أنماط الهجرة إلى جبل نفوسة:

إلا أن للنتائج السابقة بُعد أخر أكثر اهمية، وهو تتبع حركة البشر وزمن الهجرة من االساحل إلى الجبل في توقيتات محددة أوضحتها التحاليل وهي الفترة من 480 الى 520 ميلادية و800 إلى 1300 م ، مما يستدعي العودة للتاريخ لإسقاط تلك الفترات الزمنية على الأحداث التاريخية ومعرفة مبررات الهجرة.

الأقدم في تلك القصور هو قصر تكويت بني سنة 496 ميلادي، أي قبل وصول الإسلام إلى ليبيا، (وهو قصر بسيط يلف به مباني سكنية من جهة الغرب والجنوب)، وبالتأكيد هناك قصور قديمة مثل قصر كاباو الذي بني بالقرب منه مسجد محمد الكباوي الذي يعتقد أنه كان كنيسة دوناتية ومباني مدينة شروس وجادو قد تم بنائهم في تلك الفترة. وحيث أن أعداد البشر في تلك الفترة قليلون، فكان اختيار المكان لاسباب الامنية وليس لاجل سهولة العيش وإمتداد العمران، أي تم إختيار المكان ليكون منيعا وأمنا ولو كانت مساحات الارض ضيقة في منتصف الجبال او وعرة على قممها، والتي توفر لهم سبل الحياة الامنة، دون الرفاه.

الهجرة الاولى:

تاريخيا في ثلاثينات القرن الخامس الميلادي، انطلق جيزريك بجيشه الجرار الذي يبلغ

بناء قصر الحدادين في منتصف جبل نالوت وبناء قصبة قرية تاغرويت، كما بالجدول(1).

70 - ج.روسي في ، مجلة طرابلس الغرب عدد إبريل/ مايو 1933م.

تعداده 70,000 من وسط أوروبا إلى إسبانيا ثم الشمال الإفريقي، واستطاع دخول قرطاج وإزاحة الدولة الرومانية منها في 9 أكتوبر سنة 439 ميلادية. كان جيش جيزريك فظا غليظ القلب، أُطلق قادته له العنان ليعبث وينكل بكل معارضيه، وبذلك صب العذاب على الأهالي المعارضين له من الليبيين وجعل منهم عبيد أقنان له، مع فرض الضرائب عليهم، ونكل بمعارضيه من رهبان الكاثوليك والدوناتيين، ومنع المسيحية الكاثوليكية ليستبدلها بالمذهب الأريوسي، وبعد استقرار قرطاج وطرابلس له، هاجم روما سنة 455 م وخربها وسلب أهلها، ثم عاد الى الشمال الافريقي.

بعد موت جيزريك سنة 477 ميلادي تولى ابنه هونريك الحكم فواصل الابن في جمع الضرائب واستعباد الليبيين والتنكيل بهم، فكان رد الفعل خروج الكثير من المقاتلين باهاليهم من مدن الساحل الى جبل نفوسة والاستمرار في مهاجمة الوندال، وحتى بعد وفاة هونريك سنة 484م وتعيين جوندامونـد الى 496م ثم تراسامونـد الى 523 م لم تتوقف الحروب المتوالية، ومعها يتوالى الهروب من جحيم الوندال، والتاهب لمقاومتهم من الداخل، وكان أشهر تلك الحروب مقاومة زعيم قبيلة نفوسة للوندال، حيث أستطاع كباون سحق الوندال عام 498 م حين استعمل جماله كمتاريس خلال المعركة، في زمن لم يعهد الوندال بهكذا خطط حربية.

بسبب تلك المجازر الفضيعة ضد رجال الدين الكاثوليك والدوناتيين الليبيين من قبائل هوارة وزناته ولوته ونفوسة وزواغة، هربوا الى الدواخل وخاصة الجبال المنيعة التي تتوفر فيها عيون المياه، مثل جبل نالوت وبه عين تالا وتغليس وجبل جادو وبه عين تموگط وغربه عين نانا تالا، وجبل يفرن وبه عين الرومية، وجبل كباو وبه عين الغابة، ولا شك ان مناطق اخرى مشابهة مثل شروس وبن وليد وغريان قد استقبلت هؤلا الفارين بدينهم، ولقد إستمر النزوح الى الجبل على مدى أكثر من 300 سنة.

توالت الهجرات الى تلك البؤر السكانية من كل المضطهدين في الساحل والمحاربين للوندال ثم للرومان ثم لعسف الولاة العرب المستبدين باسم الدين. والجدير بالذكر أن النتائج الاكثر وضوحا هو بناء قصر تكويت وما حوله (سنة 496 م) في تلك الفترة الوندالية كما في الجدول(1)، ويصف جون ديبوا[71] اهمية جبل نفوسة في مقاومة الغزاة حيث يقول «إنها التضاريس وإنه الجبل بالملاجئ التي يوفرها هما الذين مكنوا امازيغ نفوسة من المقاومة والمقاومة القوية».

71 - جغرافية جبل نفوسة، منشورات مؤسسة تاولت، جون ديبوا ص79

الهجرة الثانية:

الهجرة الثانية للسكان الليبين من الساحل إلى الجبل، كانت بعد سقوط الدولة الاموية سنة 132ه 750 م حيث عمت الفوضى في مدن الساحل الليبي والتونسي بسبب التنافس الشديد بين الولاة القادمين من الدولة العباسية الى القيروان وخروج الجند عليهم وتصفية بعضهم البعض والمغالات في جمع المكوس والسبي، حيث تناوب أكثر من 22 والي على القيروان في اقل من قرن من الزمان، منهم ابن الاشعث وابوهريرة الزناتي وعمر القرشي وموسى بن موسى بن عجلان وعيسى بن موسى والحسن بن حرب والاغلب بن سالم وأبي حاتم وعمر بن حفص وجميل بن حفص ومحمد بن سعيد ويزيد بن حاتم وداود بن يزيد والفضل بن روح وهرثمة بن اعين ومحمد عكي وابراهيم بن الاغلب[72] ثم ابنه عبدالله ثم إبنه زياد الله ثم أبنائه حتى سنة 910م عندما سقطت دولة الاغالبة.

في عهد الأغالبة، تم تثبيت إبراهيم إبن الأغلب واليا على القيروان (التي كانت طرابلس تابعة لها) سنة 800 ميلادي (184هجري) من الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكانت مهامه ترتكز على التصدي للمعارضين لحكم العباسسين بشمال افريقيا، وخاصة الاباضيين التابعين للدولة الرستمية في تيهرت، وبسبب قوة الطرفين لم تتوقف ثورات الليبيين ضد الاغالبة للمئة عام من عمر تلك الدولة الاغلبية، أي حتى سقوطها سنة (297ه) 910م، وسجل التاريخ مجازر فظيعة اقترفها الاغالبة في تلك الفترة.

في السنوات التي اعقبت 196هـ ثارت هوارة على الاغالبة فارسل إبراهيم إبنه عبدالله الى هوارة في طرابلس لاخماد الثورة . فضربوا أعناقهم وقتلوا منهم خلق كثير[73]. وفي نفس السنة 812م (197هـ) توفي ابراهيم إبن الاغلب، وكان ابنه مستمرا في حربه ضد هوارة ونفوسة اللتان تحضيان بمساعدة عبدالوهاب بن رستم امير الدولة الرستمية، ولقد إنتهت الحرب باتفاق أن تكون سلطة الأغالبة على مدن الساحل، وأن تكون سلطة النفوسيين على الدواخل والجبل. رغم ذلك تواصلت الحروب بين أهل الجبل الاباضيين والسلطة الاغلبية لسنوات عديدة.

خلف ابراهيم ابن الاغلب إبنه عبدالله لخمس سنوات، والذي توفي سنة 817م (201 هـ) حيث اعقبه أخيه زياد الله، وكانا الاخوين أشد قسوة في جمع العشور والخراج

72 - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي

73 - تاريخ العلماء والرواه، ابن الفرضي: عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي، القاهرة 1954م

من الاهالي، واشد كُرها من الجند والفقهاء والرعية[74]. من هذه الحروب ثورة نفوسة من مقرها السابق بزواغة غرب صبراته سنة 896م (283هـ) على الحكم الاغلبي وكانت بينهم صولات وجولات إنتهت بنزوح جماعي للقبيلة الى جبل نفوسة حتى سمي الجبل باسمها.

كما استمرت الحروب والانتهاكات في عهد العبيديين من بعدهم، حيث تجول ابوعبد الله الشيعي في بلاد البربر (الامازيغ) سنة (298ه) 911م وحارب كتامة وزناتة، وقتل الرجال، وأخذ الأموال وسبى الذرية وأحرق بعض المدن بالنار[75] بل أن ثورة زناته عليهم دامت لعشرة سنوات حتى 922م.

وإستمرت هذه الحروب بين زناته والمعز بن باديس لعشر سنوات من1038 الى 1048م (430 إلى 440ه)[76]. وبذلك أضطر الكثير من الليبيين في الساحل وخاصة في زواغة اللحاق بسابقيهم والتوجه جنوبا إلى جبل نفوسة على دفعات لاقامة مدن منيعة امنة، ومواصلة حروبهم ضد العبيديين، ولا شك أن الوضع ماثل في الساحل التونسي والقيروان مما جعل الاهالي ينزحون بعيدا عن الساحل الى الجنوب، وبناء قري منيعة في شنني والدويرات وغمراسن ومطماطة.

بالمقابل ما شجع على الهجرة من الساحل الى جبل نفوسة، تلك النهضة العمرانية في الجبل زمن الدولة الرستمية لمئة وثلاثون عاما بين 761 و 909 ميلادي، حيث ساد العدل وإنتشرت دور التعليم وانتعش الاقتصاد وخاصة الزراعة والتجارة الى جنوب الصحراء وإزهرت الحياة الثقافية واصبح هناك مدن متقدمة مغربة للهجرة إليها من الساحل الغارق في الحروب والاغتيالات، وحتى بعد سقوط الدولة الرستمية إستمر نظام العزابة والحكم الذاتي للجبل بافضل حال من مدن الساحل الذي ظهرت فيه قبائل بني هلال وبني سليم كعنصر فاعل في مشهد الساحل.

تتبع حركة تنقل الهجرات الى الجبل: نالوت أنموذجا

من تحليل عينات الكربون المشع 14 سنة 2013 م للكثير من المواقع الاثرية بمنطقة نالوت ومقارنة ذلك بالاحداث التاريخية المناظرة لتاريخ تاسيس المباني يمكن تصور بدايات أماكن العمران والفترات الزمنية التي مرت بها وما إكتنفها من تغيرات ديموغرافية.

74- الاغالبة: سياستهم الخارجية، محمود إسماعيل، الطبعة الثالثة، عن: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

75 - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ص 162.

76 - : T. Lewicki: Les hakims P105

كما هو واضح في جدول(1) أن بدايات هجرة رجال الدين المسيحي الكاثوليك والدوناتيين الليبين من قبائل لواته وزواغة وهوارة ونفوسة الى الجبل كانت بعد وصول الوندال الى الساحل الليبي الذين إعتنقوا المذهب الاريوسي ونكلوا بغيرهم، وكانت تلك الهجرات الاولى الى جبل تكويت كحصن دائري مرتفع قليلا، وربما إلى منطقة تيندار في منتصف الجبل بنالوت بين الفترة 450 الى 500 ميلادي. هذه المناطق (وخاصة الاخير على علو شاهق) يمكن الدفاع عنها، ويوجد بها مصادر للمياه مثل عين أسفل قصر تكويت وعين تالا وعين تغليس في منتصف جبل نالوت، وبالمثل عين تموگط أعلى جناون وعين بوراس أسفل سدراته. ومن المعروف أن رجال الدين المسيحيين عُرف عنهم اللجوء إلى المناطق الوعرة ذات العيون المائية هروبا بدينهم، والاستمرار في إقامة شعائرهم حتى في مناطق أخرى من العالم مثل إثيوبيا وجبال لبنان.

حول هذه النواة من القسيسين والرهبان تجمع الهاربين من عسف الوندال ثم الرومان ثم الولاة المستبدين العرب ثم التطاحن بين الممالك المحلية مثل بني خزرون والعبيديين، لتكوين قري صغيرة في منتصف الجبال كما في منطقة تيندار بنالوت أو سدراته بتيغيت أو عند قدم الجبل كما في جناون بجادو، وربما غابة كباو، حدث ذلك بين السنوات 500 الى 1400 ميلادي. في هذه الفترة الزمنية تم استصلاح الاراضي وإستغلال العيون القريبة وبناء الكثير من المباني السكنية وقصور تخزين الحبوب في كل تجمع سكاني منها قصر الحدادين الذي بني أساساته سنة 1102 م. ولقد أدى هذا الاستقرار النسبي الى تزايد عدد السكان في تلك المناطق المحدودة المساحة، رغم إستمرار الحروب والاغارة على الاراضي والسكان كما اوضحنا سابقا.

بسبب تزايد عدد السكان وإستمرار الغارات قرر سكان تلك القري القريبة من مناهل المياه في منتصف الجبل الى تغيير مكان سكانهم إلى مناطق أكثر مناعة وأمن، وكان الاختيار قمم الجبال وخاصة تلك التي لها جرف من ثلاث جهات لاجل بناء المساكن عند راس المثلث وغلق قاعدة المثلث بأسوار قصر تخزين الحبوب العالية، بحيث يمكن الدفاع عن المدينة بسهولة مع وجود ممرات لجلب المياه من العيون القريبة، وزراعة الارض اسفل القرية على شكل منحدرات ذات جسور ترابية، نجد هذه التصاميم في المدينة القديمة نالوت وقصر ئطرميسن بجادو وقصر ئفطمان وتيغيت وكاباو وقصر الثلثين وقصر تكويت وقصر فرسطا.

كمرحلة اخيرة بنيت أساسات قصر نالوت سنة 1434 م وبالتاكيد تم بناء بعض المباني السكنية المجاورة قبل ذلك بقليل، أما المعبد اليهودي فكان سنة 1479 م، واستمر

بناء وترميم المساكن إلى منتصف القرن التاسع عشر حين قصف العثمانيين القصر بالمجانيق وتهدم الجزء الشرقي من القصر وكان ذلك سنة 1845م. إضافة إلى تلك الحادثة، ضيق المساحة الجغرافية للمدينة القديمة بنالوت شجع الاهالي على الخروج منها الى الهضاب القريبة، والشروع في تشييد بيوت الحفر الاكثر تاقلما مع الظروف الجوية للمنطقة.

بالمقابل هناك مدن لم تصمد أمام الغزوات المتكررة مثل قرية تاغرويت المهجورة لانها واقعة في سهل منبسط حيث لا سواتر جغرافية تدافع عنها، والتي كانت مبانيها رابضة في سنة 977م، ولقد هاجر أهلها الى ورجلان[77] بعد إجتياحها من بني خزرون.

أما قرية زطوان الجبلية فان وعورة موقعها وبعد مصدر الماء عنها قد ساهم في تركها وتحول البعض منهم إلى الحوامد الحالية شرق المنطقة الاثرية ومنهم عائلة العويب، أو العائب. بالمثل قصر الثلثين ربما ضيق المكان وبعد مصادر الماء وربما الغزوات عليهم ساعدت على ترك تلك القرية، ويوجد الى الان عائلات بلقب التلتي في عدة مدن منها درنة في شرق البلاد، وبعض القرى التونسية.

خلاصة

إن إعمار جبل نفوسة كان على مراحل زمنية متباعدة لاسباب أمنية في معظمها، وأن الاعتماد على الزراعة كحرفة أساسية في منطقة شبه صحراوية لم يساعد على تكوين مدن كبيرة، ليس في جبل نفوسة فقط بل على كل الجغرافيا الليبية، الامر الذي أدى الى تسرب سكانها الى الشريط الشمالي الضيق أو الهجرة خارج ليبيا على مر العصور، وأن مستقبلها يعتمد على تغيير النشاط السكاني الى أنشطة إقتصادية مناسبة لهذه المنطقة مثل الصناعات التحويلية المتقدمة التي تعتمد على المواد الخام الطبيعية المتوفرة بالمنطقة وإقتصاد المعرفة، أكثر من الزراعة التي تعتمد على تذبذب سقوط الامطار.

77 - السير للشماخي ص296 .

التطور التاريخي والاشتقاقي لاسم
قورينا وبرقة
دراسة تحليلية في التسمية، واللغة، والتحول الحضاري

مادغيس وَمادي

ملخص

يتناول هذا البحث التطور التاريخي والاشتقاقي للتسميات التي أُطلقت على الإقليم الشرقي من ليبيا، المعروف تاريخيًا باسم قورينا (Cyrenaica) وبرقة، من خلال مقاربة متعددة التخصصات تجمع بين فقه اللغة التاريخي، وتحليل المصادر الكلاسيكية، والجغرافيا التاريخية، والدراسات العربية الوسيطة. يهدف البحث إلى تفكيك البُنى الدلالية لهذه التسميات، وإبراز علاقتها بالسياقات الحضارية والسياسية التي أنتجتها، بدءًا من الجذور الأمازيغية القديمة، مرورًا بالمرحلة الإغريقية والرومانية، وصولًا إلى التعريب الإسلامي وإعادة التسمية في العصر الحديث. ويخلص البحث إلى أن تعدد الأسماء لا يعكس ترادفًا لغويًا، بل يمثل سجلًا معرفيًا لتغير أنماط السلطة والهوية والتمثّل الثقافي عبر الزمن.

الكلمات المفتاحية: قورينا، برقة، بنتابوليس، ليبيا القديمة، التسمية التاريخية، الاشتقاق اللغوي.

---

1. مقدمة منهجية

تُعد دراسة الأسماء الجغرافية (Toponymy) مدخلًا أساسيًا لفهم التحولات الحضارية واللغوية في مناطق العبور التاريخي، ولا سيما في شمال إفريقيا. فالتسمية ليست معطًى لغويًا محايدًا، بل هي نتاج تفاعل معقّد بين البيئة، والسلطة، والذاكرة الجمعية. وانطلاقًا من هذا التصور، يسعى هذا البحث إلى تحليل أسماء قورينا وبرقة بوصفها شواهد نصّية وجغرافية على تعاقب أنظمة ثقافية مختلفة، مع مساءلة الروايات الكلاسيكية والاستشراقية، ومقارنتها بالمصادر العربية واللغة الأمازيغية.

تعد المنطقة الشرقية من ليبيا، والمعروفة تاريخياً باسم قورينايقا (Cyrenaica)، واحدة من أكثر المناطق في حوض البحر الأبيض المتوسط ثراءً من الناحية الإسمية والاشتقاقية. إن تعدد الأسماء التي أطلقت على هذا الإقليم عبر العصور ليس مجرد اختلاف في الألفاظ، بل هو انعكاس لطبقات حضارية متراكمة، حيث تداخلت الأساطير الإغريقية مع الإدارة الرومانية، والفترة الإسلامية مع الجغرافيا الأمازيغية الأصيلة. إن فهم أصل اسم قورينايقا يتطلب الغوص في الميثولوجيا الكلاسيكية، وفقه اللغة المقارن، وتتبع التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة منذ العصر البرونزي وحتى العصر الحديث.

الجذور الميثولوجية والاشتقاقية لاسم قورينا (قورينايقا)

يرتبط الاسم الأول والأكثر شهرة للإقليم، «قورينايقا»، ارتباطاً عضوياً بمدينة «قورينا» (أو كيرينا)، وهي المدينة التي أسسها المهاجرون الإغريق في الجبل الأخضر. ولا يمكن فصل هذا الاسم عن السياق الأسطوري الذي صاغه الإغريق لشرعنة وجودهم في شمال أفريقيا.

أسطورة الحورية قورينا (Kyrene)

في الميثولوجيا الإغريقية، تعود تسمية المدينة والإقليم إلى «قورينايقا» (Kyrene)، وهي ابنة هيبسيوس (Hypseus)، ملك لابيتاي، والحورية خليدانوبي.[78] تذكر المصادر الكلاسيكية، ولا سيما القصائد المنسوبة لـ «بندار»، أن قورينا كانت أميرة تسلية ونبيلة تميزت بشجاعة فائقة وقوة بدنية غير معتادة، حيث كانت تفضل صيد الوحوش وحماية قطعان والدها في جبال بيليون باليونان على ممارسة الأعمال المنزلية التقليدية.[79]

تروي الأسطورة أن الإله «أبولو» شاهدها وهي تصارع أسداً مفترساً بيدين عاريتين لتقتله، فأعجب بشجاعتها وجمالها. وبعد استشارة القنطور «كايرون»، قام أبولو بحملها في عربته الذهبية إلى شمال أفريقيا، وتحديداً إلى منطقة خصبة وجميلة تسمى «تلة الآس» (Myrtoussa). هناك، نصبها ملكة على تلك البلاد، وأنجبت له «أريستايوس» (Aristaeus)، الذي صار إلهاً للزراعة وتربية النحل، و«إدمون» الرائي. ومن اسم هذه الحورية، اشتق الإغريق اسم المدينة (Kyrene) ثم اسم الإقليم بأكمله (Kyrenaïka).

---

78 Cyrene (mythology) - Wikipedia, accessed January 24, 2026,

79 CYRENE (Kyrene) - Thessalian Princess of Greek Mythology, accessed January 24, 2026 -,

التحليل اللغوي لاسم "كيرينا"

بعيداً عن الأساطير، بحث اللغويون في الأصل الواقعي للكلمة. وتبرز هنا ثلاث نظريات رئيسية تفسر نشوء هذا الاسم:

نظرية التحصين: تشير بعض السجلات إلى أن الاسم مشتق من الكلمة الإغريقية «kyrene» التي تعني الجدار أو الحصن المنيع.[80] وهذا التفسير يعكس الطبيعة العسكرية للمستوطنة الإغريقية الأولى التي كانت بمثابة «سور» أو «حصن» يحمي المهاجرين في أرض غريبة.

نظرية العين المقدسة: يميل بعض العلماء المحدثين إلى أن الاسم مشتق من «كيري» (Kyra)، وهو اسم عين ماء (ينبوع) كانت مقدسة لدى السكان المحليين ومخصصة للإله أبولو.[81] فلهذا لسبب هناك من يرجح أن الإغريق تبنوا اسم العين المائية وأطلقوه على المدينة، ثم قاموا لاحقاً بـ «شخصنة» الاسم من خلال أسطورة الحورية «قورينا» لتتناسب مع تقاليدهم في تسمية المدن.

نظرية التبني المحلي: تقترح النظرية أن المستوطنين من جزيرة ثيرا ربما وجدوا اسماً محلياً قديماً بلغة «الليبو» أگراو وتجمع ئگروان ⵉⵖⵔⴰⵡⵏ [82]، وهي شقيقة القيروان والقرويين التي تم تحريفهما لاحقا للتناسب مع النطق العربي، وهو يشبه في وقعه الصوتي كلمة «كيرينا» الإغريقية، فقاموا بتكييفه وربطه بأسطورة كانت موجودة لديهم بالفعل في اليونان. هذا يشير إلى عملية «تثاقف لغوي» حيث تم دمج الهوية المحلية مع القالب الحضاري الإغريقي.

العلاقة الجغرافية	المعنى المحتمل	اللغة الأصلية	المصطلح اللغوي
المدينة الأم (شحات حالياً)	حورية / ابنة ملك	إغريقية قديمة	Kyrene
نبع أبولو في قورينا	عين ماء / ينبوع	محلية / ليبية	Kyra

80 - Cyrenaica, the Greek region of Libya - Hellenic Travels to the Past,

81 - Κύρος وهو يعني السيدة أو النبيلة

82 - يرجّح أن لفظ كيروان أو القيروان هو تعريب لكلمة أمازيغية هي ئگراون (جمع ئگراو)، وتعني التجمع أو الاجتماع، وهي مشتقة من الجذر الدال على جمع المتفرق، كما في استعمالات الحياة اليومية مثل تجميع الأشياء في وعاء واحد. وقد خضعت الكلمة للتحوير الصوتي عند انتقالها إلى العربية، فصارت كيروان ثم قيروان، مع بقاء أثر النطق الأصلي في بعض التنوعات القديمة. نبهني على وجه التشابه الباحثة هاجر بربانة.

بنتابوليس: "المدن الخمس" والتنظيم الإداري

من أهم الأسماء التاريخية التي أطلقت على إقليم قورينايقا هو اسم «بنتابوليس» (Pentapolis)، وهي كلمة إغريقية تعني حرفياً «المدن الخمس» (من penta بمعنى خمسة، وpolis بمعنى مدينة).

تشكيل اتحاد المدن الخمس

بدأ استخدام هذا المصطلح في العصور الهلنستية والرومانية لوصف تجمع حضري واقتصادي وإداري يضم المدن الرئيسية في الإقليم. وقد كان هذا الاسم يعبر عن الهوية الحضارية للإقليم كمنطقة حضرية متطورة وسط محيط من القبائل الرعوية. والمدن الخمس الأصلية هي:

قورينا (Cyrene): المدينة الأم والعاصمة الثقافية، وتقع بالقرب من مدينة شحات الحالية.

أبولونيا (Apollonia): ميناء قورينا، وتعرف اليوم بمدينة سوسة.

برقة (Barce): مدينة داخلية زراعية هامة، وهي موقع مدينة المرج الحالية.

تيوخيرا (Taucheira): أعيد تسميتها لاحقاً بـ «أرسينوي» (Arsinoe)، وتعرف اليوم بمدينة توكرة.

يوسبريدس (Euesperides): أعيد تسميتها لاحقاً بـ «برنيق» (Berenice)، وهي موقع مدينة بنغازي الحالية[83].

الاستمرارية الإدارية والدينية لاسم بنتابوليس

استمر استخدام اسم «بنتابوليس» كمرادف لإقليم قورينايقا لقرون طويلة، حتى بعد تراجع بعض هذه المدن.[84] ومن المثير للاهتمام أن هذا الاسم انتقل من الإدارة السياسية إلى التنظيم الكنسي؛ حيث لا يزال بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وبطريرك الروم الأرثوذكس في الإسكندرية يحملان ضمن ألقابهما الرسمية لقب «مطران المدن الخمس الغربية» (Pentapolis).[85] هذا البقاء للاسم يعكس العمق التاريخي الذي تركه

83 - Marmarica - Oxford Classical Dictionar

84 - Cyrenaicaarms, accessed January 24, 2026

85 - إنجيل يسوع المسيح للقديس مرقس (دراسة وشرح).. الأب جاك ماسون اليسوعي

الوجود الإغريقي والروماني في المنطقة، وكيف تحولت المصطلحات الجغرافية إلى رموز للهوية الدينية والتاريخية.

ليبيا: من القبيلة إلى القارة

لا يمكن الحديث عن أصل تسمية قورينايقا دون التطرق إلى اسم «ليبيا» (Libya)، وهو أقدم الأسماء المرتبطة بالمنطقة، بل والقارة بأكملها.

قبائل الليبو (Libu)

يعود أصل اسم ليبيا إلى إثني «الليبو» (Libu)، وهي قبيلة أمازيغية قوية سكنت المنطقة الشرقية منذ العصر البرونزي[86]. وقد ورد ذكرهم في النصوص المصرية القديمة (الأسرة التاسعة عشرة والعشرون) باسم «R›bw» كأعداء ومنافسين للفراعنة مثل رمسيس الثاني ومرنبطاح.

عندما استقر الإغريق في قورينايقا، تبنوا هذا الاسم المحلي وأطلقوه على المنطقة المحيطة بمستعمراتهم، ثم توسع المدلول الجغرافي للاسم لدى الجغرافيين الإغريق (مثل هيرودوت) ليشمل كل شمال أفريقيا غرب النيل، وصولاً إلى اعتباره اسماً للقارة الأفريقية بأكملها. وبذلك، فإن «قورينايقا» كانت تمثل بالنسبة للإغريق الجيب «المتحضر» داخل الأرض الشاسعة التي أطلقوا عليها «ليبيا».

ماريماريكا: التخوم الشرقية

بينما كانت «بنتابوليس» تطلق على الجزء الغربي الخصب من الإقليم، أطلق اسم «ماريماريكا» (Marmarica)[87] على المنطقة الساحلية القاحلة الممتدة شرقاً نحو مصر، بين درنة ومرسى مطروح. اشتق هذا الاسم من قبائل «المارماريداي» (Marmaridae) الذين سكنوا تلك المناطق الرعوية.12 وفي العصر الروماني المتأخر، تم تقنين هذا التقسيم إدارياً:

ليبيا العليا (Libya Superior): وتعرف أيضاً بـ «ليبيا بنتابوليس»، وعاصمتها قورينا (ثم بطليموس لاحقاً).

ليبيا السفلى (Libya Inferior): وتعرف أيضاً بـ «ليبيا الجافة» (Libya Sicca) أو «ماريماريكا»، وعاصمتها بارايتونيوم (مرسى مطروح).[88]

86 - تحوير لاسم قبيلة لواتا راجع في كل الفقرة كتاب بازاما ليبيا هذا الإسم في جذوره التاريخية.

87 - Marmarica - Oxford Classical Dictionar

88 - المرجع السابق

برقة: التحول العربي والإسلامي

مع وصول العرب في القرن السابع الميلادي (سنة 22 هـ / 643 م) بقيادة عمرو بن العاص، بدأ اسم جديد في الظهور والسيطرة على المشهد الجغرافي، وهو اسم «برقة».

الجذور اللغوية لاسم "برقة"

هناك عدة نظريات حول أصل كلمة "برقة":

التعريب من "باركي" (Barce): يرى كثير من الباحثين أن «برقة» هي النسخة المعربة من اسم مدينة «باركي» الإغريقية (المرج حالياً).[89] كانت باركي مدينة رئيسية في العصر الروماني والبيزنطي، وعندما دخل العرب المنطقة، اتخذوا من هذه المدينة مركزاً إدارياً، فأطلقوا اسمها على الإقليم ككل.

الأصل الليبي: ذكر هيرودوت اسم «بركايا» (Barcaia) قبل قرون من وصول العرب. ويُعتقد أن الأصل ليبياً قديماً مشتقاً من الجذر «ب-ر-ك» بمعنى اللون الأسود للأرض[90] (Barakah)، وهو ما يتناسب مع خصوبة أراضي المرج.[91]

التفسير اللغوي العربي (الأرض المبرقشة)[92]: في اللغة العربية، تطلق «البرقة» على الأرض الغليظة التي تختلط فيها الحجارة بالرمل، أو الأرض التي فيها سواد وبياض (مبرقشة)[93]. وقد علل الجغرافيون العرب (مثل ابن سعيد) تسميتها بذلك لأن العرب عندما رأوا طبيعة تربتها وحجارتها الملونة أطلقوا عليها هذا الوصف الجغرافي.[94]

برقة في المصادر العربية القديمة

وصف الجغرافيون والرحالة العرب إقليم برقة بإسهاب، مما يوضح كيف حل هذا الاسم محل «قورينايقا» و«بنتابوليس» في الذاكرة الجمعية:

89 - مراجع الغناي دراسة عن اقليم برقة

90 - هناك اسم حنبعل وهناك التسمية المحلية للانسان الانسان الاسمر ذو البشرةالسوداء. أحيل القاريء على كتاب الباحثة هاجر بربانة في هذا الخصوص فهو بحث مستفيض عن أصل كلمة برقة.

91 - العجيب أن إسم جيران قبيلة لواتة المصريين القدامى كان كيميت kɛmɛt أي أرض السواد، الأسود هنا يحيل على الخصوبة.

92 - كما مر بنا خلط الإغريق الاسم بأساطيرهم، لم يبتعد العرب كثيرا فقد وجدو له اسم بركة أي الارض الخصة وبل ذهب ابن سعيد للقول سميت برقة لاختلاط تربتها بالحجارة وهذه التفاسير للأسماء المحلية لا تبتعد كثيرا عن مثيلاتها عند الإغريق.

93 - معجم لسان العرب لابن منظور - برق

94 - أبو الحسن علي بن موسى المغربي. بسط الارض في الطول والعرض.

ياقوت الحموي: وصفها بأنها «صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية».

المقدسي: وصف مدينة برقة (المرج) بأنها «مدينة خصبة واسعة البرية والزروع».[95]

ابن خلدون: أشار إلى أن برقة كانت موطناً لقبائل «لواتة» و«هوارة» الأمازيغية، قبل أن تتحول إلى مجالات للقبائل العربية النازحة (بني هلال وبني سليم).[96]

العصور الحديثة: استعادة الأسماء الكلاسيكية

في مطلع القرن العشرين، ومع الاستعمار الإيطالي لليبيا (1911)، سعى الإيطاليون إلى إحياء الأمجاد الرومانية من خلال استعادة المسميات الكلاسيكية. فقاموا بإعادة استخدام اسم «سيرينيكا» (Cirenaica) رسمياً لوصف الإقليم الشرقي، كبديل لاسم «برقة» الذي ارتبط بالعصور الإسلامية والسيطرة العثمانية.

وظل اسم «قورينايقا» (أو سيرينيكا) هو الاسم الرسمي للإقليم حتى عام 1963، عندما تم إلغاء النظام الاتحادي في المملكة الليبية واستبدال الأقاليم الثلاثة (برقة، طرابلس، فزان) بنظام المحافظات. ومع ذلك، لا يزال الاسمان «قورينايقا» و«برقة» مستخدمين جنباً إلى جنب؛ حيث يمثل الأول البعد التاريخي الكلاسيكي، بينما يمثل الثاني الهوية الثقافية والاجتماعية المعاصرة.

ملخص التطور التاريخي للأسماء

يمكن تتبع التسلسل الزمني للأسماء التي أطلقت على المنطقة في الجدول التالي:

المركز الإداري	الأصل الثقافي	الاسم السائد	الحقبة التاريخية
قبلي / تجمعات	أمازيغي (قديم)	**ليبيا / الليبو**	العصور القديمة 631 ق.م
قورينا (شحات)	إغريقي ميثولوجي	**كيرينايكي**	الإغريقي 631 - 96 ق.م
قورينا	إغريقي / روماني	**بنتابوليس**	الروماني 96 ق.م - 293 م
بطليموس طلميثة	روماني إداري	**ليبيا العليا**	البيزنطي

95 - برقة في كتب الرحالة والبلدانيين. د إدريس مفتاح حمودة

96 - «... وأما برقة فدُرِست معالمها وخربت أمصارها وانقرض أمرها. وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواتة وهوارة وغيرهم من البربر وكانت بها الأمصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقه وقصر حسان وأمثالها فعادت يباباً ومفاوز كأن لم تكن...». تاريخ ابن خلدون مج 5 ص 188

المرج مدينة برقة	أمازيغي (معرب)	**برقة**	الإسلامي منذ 643 م
بنغازي	إيطالي (لاتيني)	**سيرينيكا**	استعمار إيطالي

استنتاج تحليلي

إن تعدد الأسماء لإقليم قورينايقا ليس مجرد ترادف، بل هو سجل جيولوجي للتاريخ البشري. فبينما يمثل «قورينايقا» الجانب الروحي والميثولوجي للإغريق، يمثل «بنتابوليس» الجانب التنظيمي للمدينة-الدولة، ويمثل «ليبيا» الجذر العرقي الأصيل للسكان، في حين يمثل «برقة» الاندماج الجغرافي واللغوي في المحيط العربي الإسلامي. إن كل اسم من هذه الأسماء يحمل معه دلالات عن كيفية رؤية القوى الحاكمة والسكان المحليين لأنفسهم ولأرضهم عبر التاريخ. إن «قورينايقا» اليوم هي ابنة كل هذه الأسماء، وهي تعبير عن منطقة استطاعت أن تحافظ على هويتها رغم تعاقب الإمبراطوريات واختلاف الألسن.

خاتمة تحليلية

يُظهر تتبع التطور التاريخي والاشتقاقي لأسماء قورينا وبرقة أن التسمية ليست مجرد علامة لغوية، بل هي بنية معرفية تعكس علاقة الإنسان بالأرض والسلطة والذاكرة. فبين الأسطورة الإغريقية، والتنظيم الروماني، والتعريب الإسلامي، وإحياء الكلاسيكيات الحديثة، تتجسد قورينا كفضاء تعددي حافظ على جوهره رغم تغير الألسن والرايات.

إعادة استعمار الذاكرة

الآثار الرومانية والهيمنة الإيديولوجية في كتاب "عبر الجبل"

توفيق عيّاد الشقروني[97]

مدخل

يُعد كتاب «عبر الجبل: رحلة ماريو كورسي عبر جبل نفوسة» وثيقة تاريخية هامة. صدر النص الأصلي الإيطالي تحت عنوان «A Traverso II Gebel» للمرة الأولى عام 1913، أي في أعقاب الحرب الإيطالية التركية (1912-1911) مباشرة، وسجل انطباعات المؤلف وهو يرافق القوات الإيطالية التي اجتاحت جبل نفوسة. أما النسخة العربية التي بين أيدينا، فهي ترجمة للأساتذة عبد الوهاب الداب وموحمد وَمادي، صادرة عن مؤسسة تاوالت الثقافية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2011 ضمن «سلسلة الأبحاث التاريخية - 17». إن صدور هذه الترجمة بعد قرن تقريباً على النص الأصلي، وفي سياق ثقافي وسياسي مختلف تماماً، يضيف بعداً جديداً لقراءته، ويجعله وثيقة تاريخية، وجزئا من حوار ثقافي مستمر حول الذاكرة والهوية. ورغم أن الكتاب يبدو في ظاهره يوميات صحفية، إلا أنه يتجاوز هذا الإطار ليصبح نصاً أيديولوجياً معقداً.

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، مستعينةً بأدوات نقد ما بعد الاستعمار لتفكيك الخطاب الاستعماري في نص ماريو كورسي. وتتحدد المنهجية في ثلاثة مسارات إجرائية متكاملة:

التحليل السيميائي للمكان: عبر رصد الثنائيات الضدية التي بناها المؤلف (عظمة الأثر الروماني مقابل ركود الواقع المحلي)، وكشف آليات تحويل «الجغرافيا» إلى «أيديولوجيا» من خلال اللغة والوصف.

97 - توفيق عياد الشقروني: باحث ومؤرخ، حاصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ. صدرت له عدة مؤلفات في التاريخ والتوثيق، وله مساهمات أدبية منشورة في مجالي الشعر والنقد الشعري، بالإضافة إلى سلسلة من المقالات البحثية والدراسات المنشورة في عدد من الصحف والمجلات الثقافية.

المدخل التاريخي التفكيكي: لفحص آليات «تجميد الزمن» واستدعاء الإرث الروماني كأداة لشرعنة المشروع الاستعماري الإيطالي سياسياً وعسكرياً، وربط ذلك بالمفهوم الجيوسياسي لـ«الشاطئ الرابع».

المدخل الأنثروبولوجي الثقافي: لتحليل ردود أفعال السكان المحليين (الأمازيغ) وقراءة ممارساتهم اليومية تجاه الآثار، باعتبارها شكلاً من أشكال «المقاومة الصامتة» و«الوكالة الثقافية» التي تكسر احتكار المستعمر لإنتاج المعنى التاريخي.

التحليل

تُعد رحلة ماريو كورسي في كتابه «عبر الجبل» وثيقة تاريخية تتجاوز كونها مجرد يوميات صحفي مرافق للجيش الغازي، لتصبح نصاً أيديولوجياً يعيد صياغة العلاقة بين المكان وتاريخه وبين السكان الأصليين، حيث تبرز المفارقة الحضارية كأداة مركزية في خطابه؛ إذ يتعمد كورسي تكريس الهوة بين ما يصفه بـ«عظمة العقل الروماني» المتجسد في الحجارة المنتظمة والمنشآت المائية، وبين «ركود الواقع المحلي» الذي يعيشه سكان الجبل.

هذا النوع من الخطاب يتسق تماماً مع ما يسميه إدوارد سعيد بـ «الاستشراق الإمبريالي»، ولكنه يأخذ هنا طابعاً إيطالياً خاصاً. فإيطاليا، كقوة استعمارية «متأخرة»، كانت متلهفة لإثبات جدارتها كوريثة لروما الإمبراطورية. لذا، يتم استحضار الآثار لا لقيمتها الجمالية، بل كأداة شرعنة، تؤسس لرواية تاريخية تمنح الإيطاليين صفة «الورثة الشرعيين» وتنزع عن السكان المحليين أي حق تاريخي، وتصورهم ككائنات هامشية عاجزة عن فهم عمق الحضارة التي تقع أقدامهم عليها.

يتجلى هذا بوضوح في وصف كورسي للضريح الروماني بالقرب من ككلة، حيث لا يكتفي بالوصف المعماري، بل يربطه بمشروع استعماري مستقبلي. فبعد أن يصف عظمة البناء، يطرح تساؤلاً جوهرياً قائلاً: [لا شك في أن الأمر يتعلق بمعلمة رومانية... لابد أن فيه تنبؤوا بأن أبناء روما سيمرون فوق هذه المرتفعات الإفريقية في يوم بعيد والنصر حليفهم[98]. هنا، لا يكون الضريح مجرد أثر من الماضي، بل يتحول إلى ‹علامة نبوئية› و‹وعد بالنصر›، يجعل من الوجود الإيطالي تحقيقاً لقدر تاريخي. إنه يحول الحجر إلى نبوءة، والغزو إلى حتمية، مما يمهد الطريق لشرعنة ‹الرسالة التمدنية› التي يتحدث عنها.

98 - كورسي، 2011، ص 35-36

إن خطاب كورسي هو تجسيد مبكر لما سيصبح لاحقاً دعامة أساسية في الأيديولوجيا الفاشية، التي نظرت إلى ليبيا كـ«الشاطئ الرابع» (Quarta Sponda) لإيطاليا، مما يجعل رحلته عمل صحفي، وايضا بذرة أيديولوجية لمشروع استعماري أكبر ، وأن السكان المحليين ليسوا سوى طارئين على حضارة لم يفهموا كنهها[99]. ففي وصفه للضريح الروماني بالقرب من ككلة، لا يكتفي بالوصف المعماري، بل يربط بينه وبين القوة التي شيدته ليوحي بأن الفوضى التي رآها في الجبل هي نتيجة لغياب «السيادة الرومانية» لقرون طويلة، مما يمهد الطريق لشرعنة «الرسالة التمدنية» للاستعمار الإيطالي.

وفيما يخص البعد العسكري، فإن كورسي لا يرى في الآثار الرومانية مجرد أطلال، بل يعيد قراءتها كخريطة عسكرية حية؛ فالإشارة إلى «اليمس تريوليتانوس» (Limes Tripolitanus) أو خط الدفاع الروماني، تعكس وعياً جغرافياً يربط بين الماضي والحاضر. إن استراتيجية روما القديمة في السيطرة على جبل نفوسة من خلال نقاط مراقبة محصنة وآبار مائية استراتيجية هي ذاتها الاستراتيجية التي اتبعها اللواء «لوكيو» في تقدمه العسكري عام 1913. هنا يتحول الأثر إلى «معلم لوجستي»؛ فالآبار الرومانية في وادي الخلايفة التي وصفها كورسي بدقة لم تكن مجرد آثار معمارية، بل كانت عصب الحياة الذي مكّن الجيش الإيطالي من التحرك في بيئة قاسية. ووفقاً لتحليلات ماتينغلي[100] حول التوسع الروماني في شمال أفريقيا، فإن السيطرة على مصادر المياه كانت الأداة الأولى للإخضاع، وهو ما التقطه كورسي ببراعة حين ربط بين «هندسة الماء» الرومانية وقدرة الإمبراطورية على البقاء، مقارناً إياها بفشل الإدارة العثمانية التي تركت أنابيب المياه الفرنسية مهملة في يفرن دون جدوى.

خلف الستار الأيديولوجي، يكشف نص كورسي عن بُعد اقتصادي صريح هو جوهر المشروع الاستعماري. فالسكة الحديدية التي تصل إلى ‹الكدية البيضاء› إلى جانب كونها وسيلة نقل، هي رمز للاختراق الاقتصادي الذي يقطع أوصال الطرق القديمة ويفصل الهضبة عن بحر الرمال. إنها شريان الحياة الجديد الذي سينقل الموارد من الداخل إلى الساحل لخدمة المصالح الإيطالية. وبالمثل، فإن الإشارة إلى دور ‹بنك روما› في تأسيس وجود إيطالي مسبق في غريان ويفرن تكشف عن استراتيجية استعمارية متكاملة تبدأ بالسيطرة المالية والتجارية قبل السيطرة العسكرية. هكذا، يتحول

99 - Said, 1978.

100 - Mattingly, 1994

الحديث عن الآثار والرومان إلى غطاء ثقافي لمشروع استغلال اقتصادي، حيث تصبح السيطرة على ‹الهندسة المائية› الرومانية مجرد خطوة أولى نحو السيطرة على الثروة الزراعية والتجارية للجبل.

أما عند تحليل كيفية تمثّل السكان لهذه الهوية، نجد أن الكتاب يكشف -رغم انحياز مؤلفه- عن علاقة عضوية وعملية للسكان بآثارهم بعيداً عن التقديس الأركيولوجي. فالسكان المحليون من الأمازيغ في الجبل لم ينظروا إلى هذه الآثار كـ «تاريخ غريب»، بل كجزء من بيئتهم المعيشية، وهو ما يفسره مفهوم «التاريخ الشعبي المدمج»؛ حيث تتحول القلاع الرومانية إلى «قصور» لتخزين الحبوب، والآبار الرومانية إلى موارد مائية يومية.

يمكن النظر إلى هذه الممارسات المحلية نوع من التكيف بيئي، وأيضاً كشكل من أشكال ‹المقاومة الصامتة› و‹الوكالة المنخفضة المستوى›. ففي الوقت الذي يسعى فيه كورسي إلى تجميد الآثار داخل إطار تاريخي أحادي (الروماني)، يقوم السكان المحليون بعملية معاكسة تماماً: إعادة تفعيل الأثر. إن تسمية القلعة بـ«القصر» أو استخدام حجارة الضريح لبناء جدار، ليس فعل نفعي فقط، انما فعل رمزي ينسف فكرة «القدسية التاريخية» التي يروّجها كورسي. بهذه الأفعال، يقول السكان: هذا التاريخ لا يعد ملكاً لروما أو إيطاليا، بل هو مادتنا الخام التي نعيش بها ونستمر. إنهم لا يكتبون تاريخهم المضاد بالحبر، بل بالحجر والماء والحياة اليومية، مما يجعل مقاومتهم أكثر ديمومة ورسوخاً من أي مقاومة عسكرية مؤقتة. هذا الصمت، إذن، ليس خواءً، بل هو امتلاء بمعنى آخر، معنى يرفض هيمنة السرد الإمبريالي ويثبت استمرارية الحياة المحلية رغم تعاقب الإمبراطوريات. إن صمت السكان أو تجاهلهم لخطاب «المجد الروماني» الذي كان يحاول كورسي استنطاقه منهم يعكس نوعاً من المقاومة الثقافية؛ فهم يعتبرون أنفسهم استمراراً لهذه الأرض بصرف النظر عن القوى التي تعاقبت عليها. وتشير الدراسات الأنثروبولوجية في المنطقة إلى أن تسميات مثل «رومية» أو «قصر» لا تشير بالضرورة إلى تبعية عرقية للروم، بقدر ما تشير إلى قدم المعلم وعراقته في الذاكرة الجمعية[101].

وهذه ‹المقاومة الصامتة› لا تظهر فقط في إعادة تسمية المعالم، بل في الممارسات اليومية التي يصفها كورسي نفسه دون أن يدرك دلالتها الكاملة. عند وصفه لسكان قصر غريان، [.يلاحظ أنهم ‹لن يغيروا حفرهم هذه حتى مقابل بيوت طرابلس العاصمة

101 - Fentress, 1979.

البيضاء الجميلة،][102]. هذا الإصرار على البقاء في بيوتهم المحفورة في الصخر، والذي يراه كورسي مجرد تقليد بدائي، هو في جوهره إعلان بالانتماء والاستمرارية. إنهم يرفضون ‹التحضر› الذي يعرضه عليهم الغزو، ويؤكدون أن هويتهم مرتبطة بهذه الأرض وتضاريسها، وليست بالضرورة مرتبطة بالحجر الروماني. إنهم، بكلمات أخرى، يكتبون تاريخهم على جدران كهوفهم، رافضين أن يكتبه لهم الآخرون على جدران المعابد.

وبالانتقال إلى الجغرافيا الثقافية، نجد أن كورسي يمزج بين الواقع والأسطورة عند حديثه عن «عين الرومية» ووادي «بوغيلان». إن إضفاء الطابع الأسطوري على المكان، مثل فكرة القرابين غير المرئية عند نبع الماء أو الخوف من «الغيلان» في الأودية، يعزز في نظر الكاتب فكرة «بربرية» المكان وحاجته إلى العقلانية الأوروبية لتطهيره من الخرافة. ومع ذلك، فإن «عين الرومية» تظل في النص رمزاً للصراع على الموارد؛ فالكاتب يندهش كيف أن هذه العين التي تحمل اسماً رومانياً تروي عطش سكان يرفضون الوجود الروماني الجديد. هذا التداخل بين الاسم (الرومي) والفعل (المقاومة المحلية) يخلق حالة من التوتر الدرامي في النص، حيث يرى الكاتب في جمال الطبيعة في يفرن حقاً مسلوباً يجب استعادته، تماماً كما جادل المنظرون الاستعماريون الإيطاليون بأن ليبيا هي «الشاطئ الرابع» لإيطاليا[103].

يتجلى هذا الصراع على المعنى أيضاً في بنية النص اللغوية والسردية. فكورسي لا يكتفي بتقديم ملاحظاته، بل يبنيها من خلال ثنائيات لغوية دقيقة. فالطبيعة التي لا يسيطر عليها الإنسان هي ‹موحشة›، ‹صحراوية›، ‹قاسية›، في حين أن الآثار الرومانية هي ‹عظيمة›، ‹منظمة›، ‹خالدة›. هذه المفردات ليست محايدة، بل هي أدوات أيديولوجية تهدف إلى خلق تباين حاد بين ‹الماضي العظيم› و‹الحاضر المتخلف›. علاوة على ذلك، يتعامل كورسي مع الزمن بطريقة انتقائية؛ إذ يقفز بسلاسة بين ‹القرن الثاني الميلاني› و‹عام 1913› لخلق وهم بالاستمرارية التاريخية بين روما القديمة وإيطاليا الحديثة. هذا التلاعب بالزمن هو أداة لـ‹تجميد› المكان في إطار روماني مثالي، واعتبار كل ما جاء بعده مجرد انحراف أو فوضى واجبة التصحيح. هكذا، تصبح رحلته استكشافاً للجغرافيا، وبحث في الماضي عن مبرر أخلاقي وقانوني للحاضر.

هذا التلاعب بالزمن واللغة يصل إلى ذروته في وصفه لوصوله إلى قمة جبل غريان. فبعد رحلة شاقة عبر ‹بحر الرمال›، يصف لحظة الوصول قائلاً: [تحققت الرؤية، أفريقيا

102 - كورسي، 2011، ص 18.

103 - Cresti, 2005.

انسحبت من هنا بكل تجلياتها. النخلة اختفت في بحر الرمال الهائج في الأسفل. إننا الآن نعبر منظراً أبينينيا حقيقياً][104]. في هذه الجمل القليلة، يقوم كورسي بعملية سردية مذهلة: فهو يلغي ‹أفريقيا› الحالية (النخلة، الرمال) ويستبدلها بـ‹أبينيني› (إيطاليا). إنه لا يصف المكان، بل ‹يستولي› عليه لغوياً. إنه يجعل من الجبل الليبي امتداداً جغرافياً لوطنه، مما يجعل وجوده فيه لا يعتبر غزواً، انما عودة طبيعية إلى أرض شبيهة بأرضه.

إن الرؤية النهائية التي يقدمها الكتاب تكرس فكرة الأثر كـ «إرث مسترد»؛ فبينما يرى الساكن المحلي في الحجر الروماني مادة لبناء بيت أو بئراً للشرب (رؤية نفعية)، يراه كورسي «توقيعاً تاريخياً» يمنح إيطاليا الحق في ملكية الأرض. هذا التباين في الرؤية يعكس جوهر الصراع الاستعماري؛ حيث يتم تحويل الجغرافيا إلى تاريخ، والتاريخ إلى حق سياسي. إن «عبر الجبل» كتاب رحلات، ومحاولة لإعادة استعمار الذاكرة من خلال الحجر، مستنداً إلى رؤية أحادية ترى في الآثار دليلاً على التفوق العرقي، وتتجاهل قدرة السكان المحليين على التكيف والاستمرار والاحتفاظ بهويتهم الخاصة رغم تعاقب الإمبراطوريات.

خاتمة

إن الصراع الذي يكشفه «عبر الجبل» لم ينتهِ برحيل الاستعمار الإيطالي. فما زالت آثار هذا الخطاب حية اليوم في كيفية تسويق بعض المواقع الأثرية في ليبيا، حيث تُروَّج «الرومانية» كعنصر جذب سياحي رئيسي، بينما يتم تهميش أو تقليل شأن التاريخ الأمازيغي الإسلامي اللاحق. وهنا يكمن التحدي الأكبر: كيف يمكن للذاكرة الجماعية في جبل نفوسة اليوم أن تستعيد روايتها الخاصة، رواية لا تلغي الرومان، بل تضعهم في سياقهم كطبقة واحدة ضمن تاريخ طويل ومستمر، تاريخ كتبته الأيدي المحلية التي بنت بيوتها من حجارتهم وشربت من آبارهم. إن تحليل نص كورسي يثبت أن النضال من أجل تاريخ الأرض لا يقل أهمية عن النضال من أجل أرضها نفسها

المراجع: كورسي، م. (2011). عبر الجبل: رحلة ماريو كورسي عبر جبل نفوسة (ع. الداب و م. ومادي، مترجمون). مؤسسة تاوالت الثقافية.

Cresti, F. (2005). Non deserta, ma quasi: L›immagine del territorio libico nella letteratura coloniale italiana. Carocci.

Fentress, E. W. B. (1979). Numidia and the Roman Army: Social, Military and Economic Aspects of the Frontier Zone. British Archaeological Reports.

Mattingly, D. J. (1994). Tripolitania. University of Michigan Press.

Said, E. W. (1978). Orientalism. Pantheon Books.

104 - كورسي، 2011، ص 16.

زوارة التاريخية

قراءة في النسيج العمراني والهوية الثقافية

بين العهدين العثماني والإيطالي

وائل أبوزيد فطيس[105]

الملخص

يتناول هذا المقال مدينة زوارة بوصفها إحدى أبرز الحواضر الساحلية غرب طرابلس، مسلطًا الضوء على خصوصيتها التاريخية والعمرانية والثقافية. يستعرض المقال تطور المدينة عبر العصور، بدءًا من الإشارات التاريخية لدى الرحالة والمؤرخين، مرورًا بالعهد العثماني، وصولًا إلى فترة الاستعمار الإيطالي، مع تحليل ملامح التخطيط الحضري والنمط المعماري المحلي. كما يناقش المقال تدهور العديد من المعالم التاريخية نتيجة الإهمال، ويدعو إلى ضرورة الحفاظ على ما تبقى من هذا الإرث بوصفه جزءًا أصيلًا من الهوية الأمازيغية والليبية.

الكلمات المفتاحية

زوارة، العمارة التقليدية، التراث الأمازيغي، ليبيا، العهد العثماني، الاستعمار الإيطالي، المدن التاريخية، التخطيط العمراني، الهوية الثقافية، المعالم التاريخية

المقدمة

كانت ولازالت زواره من أهم الحواضر الساحلية في غرب طرابلس وذلك يعود إلي خصوصية السكان والجغرافيا والتاريخ الخاص بالمدينة التي كانت حاضرة مزدهرة في العهد الايطالي فضمت منضومة متكاملة من المراكز والمنشاءات المتنوعة خلال تلك الفترة وقد ازيل الكثير من المنشاءات المعمارية المميزة خلال فترة حكم القذافي

ونحن في هذا السرد والايضاح البسيط نتوجه الي الجميع لأجل المحافظة على ماتبقي من هذا الإرث التاريخي والثقافي للمدينة

105 - باحث في التاريخ الليبي، مؤلف كتاب معالم حضارية من زوارة القديمة

زوارة التاريخية - نضرة عامة

تعتبر مدينة زواره التاريخية التي تدعى (تامورت م ات ويلول) أي زواره بني ويلول وهم قبيلة امازيغية ينحدر منها سكان زواره.

تعتبر المدينة من أقدم المدن التاريخية الواقعة غرب طرابلس الغرب حيث وصفها الرحالة والمؤرخين مثل التيجاني و الشريف الادريسي والبكري والرحالة هنري بارث وليون الافريقي وكربخال وغيرهم وترد التسمية الرومانية (كاساس) كتسمية لزواره في العهد الروماني.

وتسمية قصر بني ويلول و زواره الكبري و زواره العامرة و الزوارات الشرقية وغيرها من التسميات التاريخية السائدة في العصور الوسطي.

ويتميز التخطيط في تقسيم الاحياء وفق الطريقة المتبعة في المدن الليبية القديمة مثل غدامس وودان وغيرها ، حيث تنقسم المدينة لعدة احياء وكل حي يمثل القبيلة التي سكنته ، مثل شارع أولاد عيسي و شارع القصار وشارع العطاطشة وغيرهم.

وكان لكل حي جامع خاص به، واحيانا مقبرة خاصة به مثل مقبرة جدي ابراهيم في شارع اولاد عيسي.

وكانت تنتشر الطرق الضيقة في مختلف الازقة والشوارع القديمة ، وكان الطريق المتجه بين الشرق والغرب يمثل الطريق الرئيسي بين الشوارع.

وكانت المدينة القديمة تحتوي علي اكثر من 300 منزل عام 1845 ، كما يذكر ذلك الرحالة هنري بارت وتورد وثيقة عثمانية صادرة سنة 1290 هجري حوالي سنة 1873 وجود 500 منزل علي الساحل في قصبة زواره.

وأقيمت في الفترة العثمانية قلعة في الجنوب الشرقي من المدينة كانت مقرا للحاكم العثماني في المنطقة ذكرها الرحالة هنري بارث.

وفي وسط المدينة في الجزء الشرقي كان يقوم مركز الادارة المحلية للمنطقة قديما وكانت المنطقة تسمي اغرم (ⵖⵔⵎ)وهي كلمة أمازيغية معناها القصر، وكان يسمي في الوثائق العثمانية بقصر الحكومة وشارع القواعي، وكانت تحتوي علي منزل القائم مقام والي كان الحاكم العثماني في المدينة.

لايزال مبني القائم مقام في زواره الذي يرجع للعصر العثماني قائما وهو يعاني الانهيار والتلاشي في صمت الى ان يقع يوما ما ويصبح كوما من الركام والاطلال.

هذا المبني يعتبر اقدم مبني عام في زواره وعاصر العديد من الانضمة والدول التي قامت في ليبيا هذا المبني يتعرض من عشرات السنوات للانهيار والخراب وسط اهمال الاهالي والدولة حيث سيتسبب انهياره وتحطمه خسارة كبيرة للاهالي من الناحية التاريخية والثقافية.

منزل القائم مقام العثماني في زواره وكان حاكم قضاء زواره وهوا مبني يعود للفترة العثمانية يقع بمقابل جامع العزابة وكان مقر للحكم في العهد العثماني الثاني والايطالي

الطابع المعماري للمدينة القديمة

يتكون النمط المعماري للمدينة القديمة زواره من مجموعة المباني المستخدمة للسكن وكانت تبنى وفق طرق بناء محلية وبمواد محلية من المنطقة حيث كانت تبني المباني من الحجارة الجبسية (اولوس ⵓⵍⵓⵙ ,) ويتكون المنزل من مجموعة حجرات تفتح علي فناء مركزي وكانت تغطي الحجرت وتسقف بجدوع النخل وتبن البحر والطين ، وهي تتشابه مع النمط السائد في المدن الساحلية في ليبيا وتشكل نمط مميز خاص بها فالمنزل يتكون من تيزغوين الحجرات وهي مجموعة من الحجرات التي تحيط بفناء صغير الحجم اماص ن تيدارت وايضا احيانا تسمي بعض الحجرات في المنزل ئيرجي وهي في العادة حجرة صغيرة الحجم تكون في طرف المنزل كذلك المطبخ ويسمي (أمال) بميم مفخمة ويتكون الحي (اسقاق) من مجموعة البيوت المتلاصقة المتراصة وغالبا مايكون الحي يتكون من سكان من نفس العائلات والقبيلة بحيث تشكل كل قبيلة حي خاص بها.

ويحتوي الحي علي الجامع والمقبرة وبعض اضرحة الاولياء الذين يتوزعون علي كافة

الاحياء وكان الطرف الشرقي للمدينة يحتوي علي كافة المباني الادارية والمقرات الحكومية للسطلة العثمانية.

حيث ترد في الوثائق الخاصة بزواره والتي تعود للعهد العثماني صيغة (قصر الحكومة) وايضا (قصبة زواره) وايضا تسميات تدل علي معالم تاريخية قديمة في تلك الفترة مثل تسمية الجامع القبلي والجامع القديم.

وايضا كان السوق يتواجد في شرق المدينة القديمة فتزخر الوثائق بالعديد من التعاملات التجارية الخاصة بالسوق الذي كان يتكون من مجموعة دكاكين يتم فيها مزاولة مختلف الاعمال التجارية والحرفية.

وكذلك كانت المدينة تحتوي علي مقهى في العهد العثماني الثاني يشير اليه جون ابوت سنة 1912 قبل دخول الايطاليين للمدينة ، ولاتزال الكثير من المنازل القديمة تحمل نفس الطابع المحلي لغاية الان.

وتتنوع المعالم التاريخية من مباني للسكن الي مرافق عامة بقي منها مبني القلعة الايطالية في زواره مارينا (المرسى) حيث تشير المصادر الي بناءه سنة 1913.

سوق زواره الجديد وهوا في بداية شارع الكونت فولبي.جمعية زواره للهوية والتراث حاليا

سوق زواره الجديد

كانت التجارة مزدهرة في زواره في الفترة الايطالية فتم بناء سوق للتبادل التجاري في فترة الثلاثينات من القرن الماضي علي النمط والطراز المعماري المحلي الليبي وكان ايضا هناك سوق تقليدي اقدم منه وسط المدينة وكانت ايضا تحتوي علي مباني ومؤسسات متنوعه ومختلفة كما تضهر في الصور المختلفة للمدينة في العصر الايطالي

الانماط المعمارية الحربية الايطاليه

وهي تمثل جملة التحصينات والمباني العسكرية الإيطالية المتنوعة من حصون وقلاع

ومباني تحت أرضية ومراكز قيادة بناها الإيطاليين في زواره وضواحيها

ومنها مبني القلعة الايطالية كما اسلفنا وايضا المطار العسكري الايطالي جنوب المدينة وقلعة ايغرماون الايطالية الواقعة غرب زواره حيث تعتبر من المعالم التاريخية العسكرية ويقع بجوارها الخندق الدفاعي الإيطالي الدي يربطها بقلعة منطقة قليلية غرب زواره حيث كانت تمثل خطا دفاعيا حول المدينة في العصر الإيطالي ، تم تشييد هده المباني وفق النمط المعماري المحلي واقواس ضخمة تمثل بوابات هده المباني التاريخية المميزة.

بعض الملامح الفنية في معمار زواره التاريخي وهي تمثل لمحات معمارية من فترات تاريخية متنوعة

قري زواره وأريافها

تنتشر في الضواحي المجاورة للمدينة عدة قرى وتجمعات سكانية كانت تعتمد علي الاشغال الفلاحية المتنوعة وكانت تملك مساحات من الارض تكفل لها اقامة مجتمع فلاحي رعوي ومنها : قري المنقوب ، قصر مركيا التاريخي ، قرية مليته المندثرة التي سميت بقصر مليته وهجرها اهلها حوالي القرن الثالث عشر ، والقري التي كانت سائدة وموجودة الي اواخر الستينات من القرن الماضي منها : المنقوب ، مزرق الشمس ، صاك عبد الصمد ، سي ميلاد ، سيدي سعيد ، فروة .

وتنتشر في هذه المناطق انماط محلية وهي حجرات صغيرة الحجم عادة ماتكون مبنية من الحجر الجبسي ويتم اقامة السقف من جدوع النخيل ، وهي تتشابه مع المنازل التقليدية الواقعة في المدينة القديمة حيث تنتشرهده الحجرات في نطاق المزارع المحادية للمدينة علي هيئة تجمعات او مباني منفردة.

منضر عام للمدينة التاريخية زواره القديمة

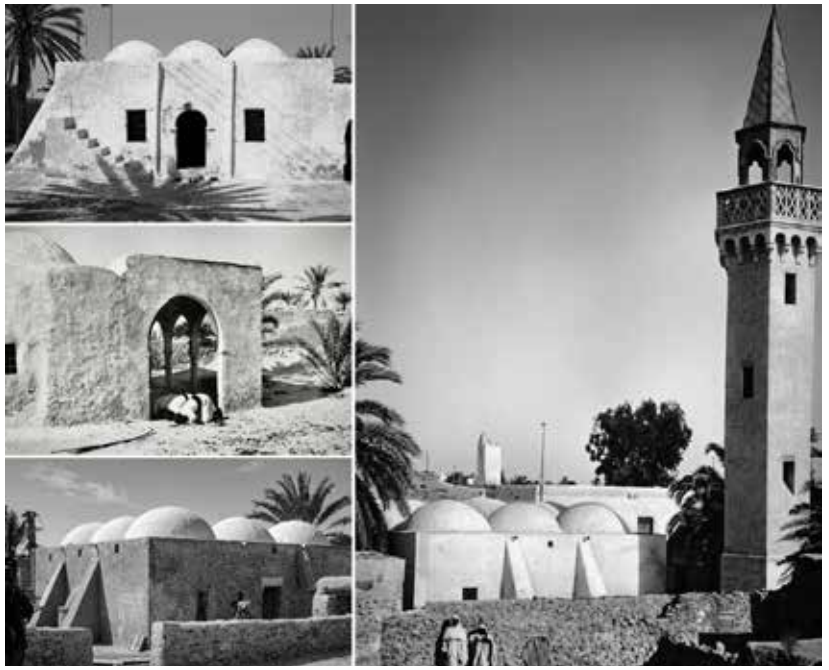

مساجد زواره التاريخية القديمة وقد تعرضت للتخريب والتدمير في سبعينات القرن الماضي

احياء من مدينة زواره التاريخية وتمثل نمط المعمار المحلي الأمازيغي المميز للمدينة

الحياة اليومية في ميدان السوق لزواره البياطسة ثلاثينات القرن الماضي

سوق زواره سنة نهاية عام 1912

وتتمثل اهمية المدينة القديمة في زواره في انها تمثل نمط معماري محلي وفق منظومة محلية متكاملة في البناء وفق تقنيات بناء محلية ومن مواد محلية كما يشير الي ذلك مارمول كربخال عن صناعة الجبس في زواره والذي يحولونه الي الجير عن طريق حرقه في افران معدة لذلك وكانت احمال الجبس تشكل مادة تجارية هامة لاقتصاد المدينة.

وهذه الانماط وطرق البناء الخاصة بزواره تعكس ثقافة وحضارة المنطقة المحلية ويعتقد بان المدينة القديمة تقع فيما يعرف بالتل الاثري أي فوق مرتفع يضم بقايا حضارية من عصور اقدم, والذي يحتوي في باطنه علي اثار وشواهد المدن الاقدم التي بنيت عليها المدينة الضاهرة للعيان.

اسماء الاحياء في المدينة التاريخية

شارع اولاد عيسي — اسقاق ن ئيند عيسي ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵉⵜⵜⵏ ⵄⵉⵙⵓ

شارع القصار — اسقاق ن ئيند ؤقزول ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵉⵜⵜⵏ ⵇⵣⵓⵍ

شارع العطاطشة — اسقاق نئيند عطوش ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵉⵜⵜⵏ ⵄⵟⵟⵓⵛ

شارع اولاد منصور — اسقاق ن ئيند منصور ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵉⵜⵜⵏ ⵎⵏⵙⵓⵔ

شارع الدرايسية — اسقاق ن ئيند يدريس ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵉⵜⵜⵏ ⵢⴷⵔⵉⵙ

شارع التلالة — اسقاق ن ات للو ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵓⵜ ⵍⵍⵓ

شارع الزفافرة — اسقاق ن ات زفور ⵓⵔⵔⵉ ⵏ ⵓⵜ ⵣⴼⴼⵓⵔ

الشوارع في الفترة الايطالية

وتتمركز في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة القديمة حيث اسس الايطاليين ميدان الملكة (الينيا) البياطسة حاليا وتوجد فيه مبني بلدية زواره القديم المسمى المتصرفية ومجوعة من المحلات تقع علي الجزء الجنوبي من الطريق , وعمارة عائدة للفترة الإيطالية المسماة بلاص هبيرة بجوارها مجموعة من الدكاكين التي تعود لنفس الفترة , وتقابلها مخبز «كوشة بامبينو" وهو اقدم مخبز يعود للعهد الايطالي في المدينة يقع الي الشمال منه بقايا احد أبواب المدينة تاريخيا.

وقد انشئ الايطاليين في زواره المدينة الايطالية في الجزء الشرقي من المدينة التاريخية حيث اتجه الايطاليين شرقا واسسوا ميدان عام بالمدينة وقاموا بتأسيس المدينة الايطالية في زواره بحيث كانت الادارات الرئيسية تتوزع حول الميدان.

وتم شق طريق رابط بين ميناء زواره والمدينة وسمي بشارع الكونت فولبي وتم بناء العديد من المنشآت في هذا الشارع فتم بناء الدكاكين الحديثة في تلك الفترة وتم بناء المدرسة وقصر الحاكم والكنيسة الكاثوليكية وفق الخريطة الايطالية الخاصة بالمدينة.

وقد تم ايضا تأسيس ضاحية زواره البحرية زواره مارينا والتي تدعي الان المرس فكانت نواة زواره مارينا المعسكر الايطالي الذي بناه الايطاليين عقب نزولهم في المدينة سنة 1912 وذلك بقرب الميناء وعقب ذلك تم بناء المعسكر والقلعة المتواجدة في جزءه الشمالي بمحادات الطريق.

كما اسس الايطاليين مطار في زواره في منطقة شعالة البزار سنة 1913 وكان يستعمل في الاغلب للنقل الحربي وللقتال الجوي , ايضا قام الايطاليين بمد سكة الحديد من طرابلس الي زواره حيث كانت محطة القطار في زواره لاتزال قائمة الي نهاية تسعينات القرن الماضي قبل ان يتم تدميرها وتخريبها.

ومن المؤسسات التي اقامها ايطاليين في زواره محطة قطار ابوكماش ومجموعة المباني اتي لازالت قائمة الي يومنا هذا.

قائمة المراجع

المصادر التاريخية الكلاسيكية

التيجاني، أبو عبد الله محمد بن أحمد. رحلة التيجاني.

الإدريسي، الشريف. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

البكري، أبو عبيد. المسالك والممالك.

ليون الإفريقي (الحسن الوزان). وصف إفريقيا.

مارمول كربخال، لويس. وصف إفريقيا (Description de l'Afrique).

الرحالة والمصادر الأوروبية

Barth, Heinrich. Travels and Discoveries in North and Central Africa.

(Abbott, John. 1912). رحلات أو مذكرات حول ليبيا/طرابلس (يحتاج تدقيق العنوان الأصلي).

المصادر العثمانية

وثيقة عثمانية صادرة سنة 1290هـ / 1873م تقريبًا تشير إلى عدد المنازل في قصبة زوارة.

قراءة نقدية شاملة في كتاب

الجينات والشعوب واللغات

كيف رسمت البيولوجيا والثقافة مسار التطور البشري؟

ملخص المقال:

يقدم هذا المقال مراجعة نقدية تحليلية لكتاب "الجينات والشعوب واللغات[106]" لعالم الوراثة الإيطالي البارز لويجي لوكا كافيللي-سفورزا[107]. يسعى المقال إلى تفكيك الفكرة المركزية للكتاب المتمثلة في الدمج بين ثلاث تخصصات كبرى: علم الوراثة، وعلم اللغة، وعلم الآثار، لإعادة بناء تاريخ الهجرات البشرية وتطور الإنسان خلال المائة ألف عام الأخيرة. من خلال استعراض فصول الكتاب، نناقش كيف تتطابق أشجار التطور الجيني مع أشجار العائلات اللغوية، مع تقديم نظرة نقدية لمنهجية المؤلف واستنتاجاته.

الكلمات المفتاحية: التطور البشري، علم الوراثة التجمعي، التاريخ اللغوي، لويجي كافيللي-سفورزا، الهجرات البشرية القديمة، الانتشار الديمي / الديموغرافي، التعددية التخصصية.

أولاً: الفكرة الأساسية والإطار المنهجي (تأسيس الرؤية)

ينطلق كافيللي-سفورزا من طموح علمي استثنائي: توحيد الرواية التاريخية للبشرية. "وكما يوضح في مقدمة الكتاب، فإن الهدف هو تقديم "تاريخ للمائة ألف عام الأخيرة، تاريخ يرتكز على علم الآثار القديمة (الأركيولوجيا) وعلم الوراثة وعلم اللغة". الفكرة الجوهرية هنا هي أن التباين الجيني بين المجموعات البشرية لا يحدث في فراغ، بل يتزامن مع الانفصالات اللغوية والابتكارات الثقافية.

---

106 - العنوان الأصلي GENES, PEOPLES, and LANGUAGES, by: Luigi Luca Cavalli - Sforza North Point Press, New York. (2000) قام بالترجمة أحمد مستجير

107 - لويجي لوكا كافالي-سفورزا (Luigi Luca Cavalli-Sforza) (1922-2018) هو عالم وراثة إيطالي بارز، يُعد واحداً من أهم رواد ومؤسسي «علم الوراثة التجمعي» (Population Genetics) وجغرافية الجينات في القرن العشرين. درس الطب في جامعة بافيا الإيطالية، وعمل باحثاً وأستاذاً في جامعات أوروبية مرموقة مثل كامبريدج وبافيا وبارما، قبل أن ينتقل إلى الولايات المتحدة ليصبح أستاذًا لعلم الوراثة في جامعة ستانفورد العريقة، حيث قضى معظم مسيرته الأكاديمية.

يواجه المؤلف إشكالية فلسفية وعلمية قديمة: هل التاريخ علم؟ يجيب سفورزا بمنهجية مبتكرة تعتمد على "التعددية التخصصية". فبينما لا يمكن تكرار الحدث التاريخي تجريبياً، يرى المؤلف أن "دراسة نفس الظاهرة من زوايا مختلفة، من فروع علمية مختلفة ــ كلٌّ يوفر حقائق مستقلة ــ له قيمة التكرار المستقل، الأمر الذي يجعل المعالجة متعددة النظم ضرورة لا غنى عنها". هذا "التكرار المستقل" هو الذي يمنح استنتاجات الكتاب صلابتها العلمية.

ثانياً: استعراض تحليلي لمحتوى الفصول ومحاور الكتاب

رغم تنوع فصول الكتاب، إلا أنها تنتظم حول أربعة محاور رئيسية تشكل السردية الكبرى للتطور البشري:

1. الجينات والأصول البشرية (الخروج من أفريقيا)

يبدأ الكتاب بتفكيك مفهوم "العرق" من الناحية البيولوجية، ليثبت بالدليل الجيني القاطع زيف التصنيفات العنصرية الكلاسيكية. يستعرض المؤلف كيف أن التنوع الجيني البشري السطحي (كلون البشرة) هو مجرد تكيفات مناخية حديثة نسبيا. يؤسس هذا المحور لنظرية "الخروج من أفريقيا"، موضحاً كيف غادر الإنسان العاقل (Homo sapiens) القارة السمراء قبل حوالي 100,000 عام، لينتشر في كافة أرجاء الأرض، وكيف تركت كل هجرة "بصمة جينية" يمكن تتبعها اليوم.

2. الثورة الزراعية والانتشار الديموغرافي

ينتقل الكتاب لمناقشة التغيرات التكنولوجية الكبرى وتأثيرها البيولوجي. يركز المؤلف على اختراع الزراعة (في الهلال الخصيب ومناطق أخرى) ليس فقط كحدث ثقافي، بل كمحرك ديموغرافي وجيني. يطرح سفورزا مفهوم "الانتشار الديمي" (Demic Diffusion)، مجادلاً بأن الزراعة لم تنتشر بمجرد انتقال "الفكرة" أو التقنية إلى شعوب الصيد والجمع، بل عبر التمدد الفعلي للمزارعين أنفسهم وزيادة أعدادهم، مما أدى إلى إحلال جيني تدريجي أو اختلاط مع السكان الأصليين.

3. التطابق المذهل: شجرة اللغات وشجرة الجينات

هذا هو الفصل الأكثر إثارة للجدل والابتكار في الكتاب. يضع سفورزا خريطة للتنوع الجيني العالمي جنباً إلى جنب مع خريطة العائلات اللغوية الكبرى (التي صنفها علماء اللغويات). النتيجة كانت تطابقاً مذهلاً. الانقسامات الكبرى في شجرة الأنساب الجينية

للإنسان تتوافق بشكل كبير مع الانقسامات في شجرة اللغات الماكرو-عالمية.

يفسر المؤلف ذلك بأن المجموعات البشرية عندما كانت تنفصل جغرافياً (مما يؤدي إلى انعزال جيني بمرور الزمن)، كانت تنفصل لغوياً أيضاً لعدم وجود تواصل. هذا التطابق يجعل من اللغات "حفريات حية" يمكن من خلالها قراءة مسارات الهجرة القديمة.

4. التطور الثقافي في مواجهة التطور البيولوجي

في الفصول الأخيرة، يناقش الكتاب آلية انتقال الثقافة مقارنة بانتقال الجينات. "يؤكد المؤلف على قاعدة هامة ذكرها في صلب منهجيته: "إن التطور الوراثي للإنسان عموماً قد تأثر كثيراً بالابتكارات التكنولوجية وبتغير الحضارة". فالحضارة والثقافة تنتقلان أفقياً (بين الأقران والمجتمعات المختلفة) وعمودياً (من الآباء للأبناء)، مما يجعل التطور الثقافي أسرع بكثير من التطور الجيني البطيء الذي يعتمد على الطفرات والانتخاب الطبيعي.

ثالثاً: التحليل النقدي (نقاط القوة والمآخذ العلمية)

نقاط القوة:

الريادة المنهجية: يمثل الكتاب خطوة في كسر الحواجز بين العلوم الصلبة (البيولوجيا) والعلوم الإنسانية (اللغويات والتاريخ). نجح كافيللي-سفورزا في تحويل دراسة التاريخ البشري العميق من مجرد تخمينات أثرية إلى علم دقيق يعتمد على الإحصاء البيولوجي.

"تبسيط المعقد: كما وعد في مقدمته، التزم المؤلف بتقليل "الرطانات" (المصطلحات المعقدة) لتوضيح المفاهيم لغير المتخصصين"، مما يجعل الكتاب مرجعاً يقرأه عالم الأحياء واللغوي والمؤرخ على حد سواء.

المآخذ العلمية (القصور):

تعميمات العائلات اللغوية: يعتمد سفورزا في تحليلاته اللغوية على تصنيفات لغوية واسعة جداً (Macro-families) أقرها بعض اللغويين مثل جوزيف غرينبيرغ، وهي تصنيفات لا تحظى بإجماع كامل في الأوساط الأكاديمية اللغوية الدقيقة. بناء استنتاجات جينية صلبة على نظريات لغوية لا تزال محل نقاش يمثل نقطة ضعف في بعض أطروحات الكتاب.

حتمية التطابق: رغم أن التوافق بين الجينات واللغات قوي، إلا أن التاريخ البشري

مليء بحالات "الاستبدال اللغوي" (كأن تتبنى مجموعة لغة نخبة غازية دون أن يحدث تغيير جيني كبير)، وهو ما يجعل الاعتماد على اللغة وحدها كدليل جيني أمراً يحتاج إلى حذر شديد.

رابعاً: الخاتمة

كتاب "الجينات والشعوب واللغات" ليس مجرد سرد لتاريخ الإنسان، بل هو بيان علمي يؤكد على وحدة الأصل البشري. يبرهن كافيللي-سفورزا ببراعة على أن التنوع الهائل الذي نراه اليوم في أشكال البشر ولغاتهم ليس سوى قشرة رقيقة تشكلت خلال هجرات متأخرة، وأن محاولة فهم هذا الإنسان تستوجب تضافر جهود المنقب في الأرض (عالم الآثار)، والمشرح للحمض النووي (عالم الوراثة)، والمفكك لرموز الكلام (عالم اللغة). إنه كتاب يضع مرآة العلم الحديث أمام وجه التاريخ السحيق.

فهرس المحتوى

مقدمة	3
عصر المقاومة الأمازيغية في قورينا	5
قصر الحاج مخزن حبوب محصّن في الجفارة الليبية	12
بدايات العمران في جبل نفوسة	30
التطور التاريخي والاشتقاقي لاسم برقة	40
إعادة استعمار الذاكرة الآثار الرومانية والهيمنة الإيديولوجية	48
زوارة التاريخية قراءة في النسيج العمراني والهوية الثقافية	54
قراءة نقدية شاملة في كتاب الجينات والشعوب واللغات	63
فهرس	67
مختصر لمحتويات الدورية	68

مختصر لمحتويات الدورية

تُعد الدورية التاريخية أمزروي نّغ منبرًا علميًا متخصصًا يُعنى بإعادة قراءة تاريخ ليبيا وشمال إفريقيا قراءة نقدية تستند إلى المعطيات المحلية، وتوظف المناهج الحديثة في البحث التاريخي والجغرافي، مع تركيز خاص على إبراز الأبعاد الأمازيغية في كتابة التاريخ وفهم تطور المجتمعات .

تتضمن الدورية مجموعة من الدراسات التي تغطي فترات تاريخية متعددة، من أبرزها بحث حول عصر المقاومة الأمازيغية في قورينا، حيث يتم تحليل النقوش الإغريقية والرومانية من منظور جديد يسعى إلى مراجعة الروايات الكلاسيكية وإعادة تفسيرها في سياقها المحلي .

كما تولي الدورية اهتمامًا بالدراسات العمرانية والاجتماعية، من خلال مقالات تتناول أنماط الاستقرار والبناء، مثل دراسة قصر الحاج كمخزن حبوب محصن في الجفارة، وبحوث حول بدايات العمران في جبل نفوسة، بما يعكس تفاعل الإنسان مع البيئة وتطور الأنماط المعمارية المحلية .

وفي جانب آخر، تعالج الدورية موضوعات لغوية وتاريخية مرتبطة بالطوبونوميا، مثل دراسة التطور التاريخي والاشتقاقي لاسم برقة، إضافة إلى مقالات تناقش قضايا الذاكرة التاريخية وإعادة قراءة الآثار الرومانية في ضوء تأثير السرديات الاستعمارية وإشكاليات الهيمنة المعرفية .

وتختتم الدورية بمجموعة من الدراسات التطبيقية والقراءات النقدية، من بينها دراسة حول مدينة زوارة التاريخية وتحليل نسيجها العمراني وهويتها الثقافية، إلى جانب عرض كتب ومراجعات علمية، مما يجعل هذه الدورية فضاءً متكاملًا للإنتاج المعرفي في مجالات التاريخ والجغرافيا التاريخية والهوية الثقافية.